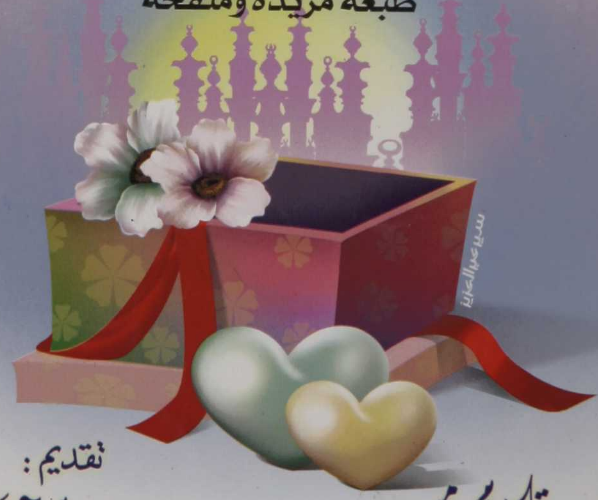
إبهاج الأزواج

فنون وآداب العلاقات الزوجية

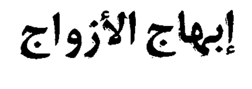
طبعة مزيدة ومنقحة



تقديم :
فضيلة الشيخ / محمد حسين

د/ توكل محمد مسعود

دار الدعوة


إبهاج الأزواج

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع القانونى: ٢٠٠٤/١٨١٦٣
الترقيم الدولى: 977-253-350-7

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥



إبهاج الأزواج

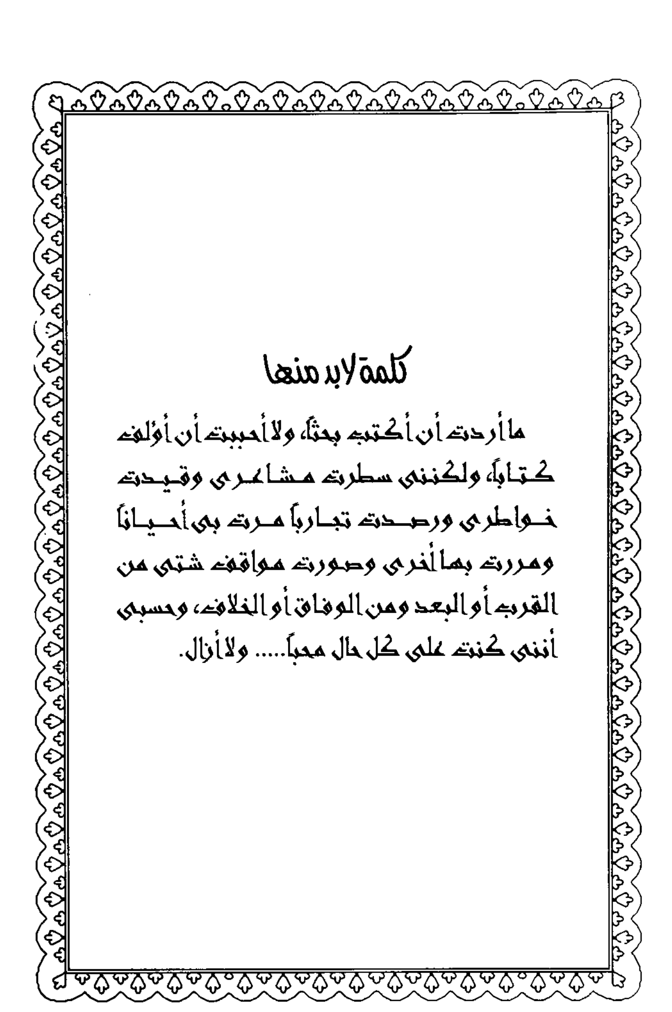
فنون وآداب العلاقات الزوجية

تأليف
د. توكل محمد مسعود

تقديم فضيلة الشيخ
محمد حسين

دار الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة لابد منها

ما أردت أن أكتب بحثاً، ولا أحببت أن أؤلف كتاباً، ولكنني سطرت مشاعري وقيدت خواطري ورصدت تجارباً مرت بي أحياناً ومررت بها أخرى وصورت مواقف شتى من القرب أو البعد ومن الوفاق أو الخلاف، وحسبي أنني كنت على كل حال محباً..... ولا أزال.



إهداء

إلى: كريمة

وإلى:

معاذ

ومريم

وأنس

وإسراء

وأسامة

وإيثار

والبراء

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، الرسول الذى بلّغ الرسالة، والعابد الذى يتأسَّى به العابدون، والسعيد الذى رسم للخلق خريطة السعادة، وبعد..

فقد سرنى أن أكتشفت فى أجواء العلاقات الزوجية نجمًا سطع ليبقى وينير للأزواج ولمن يتأهّل للزواج، فإن العلاقات الزوجية فراغ وفضاء مُعْتم يحتاج إلى تجلية وإيضاح، وهو مجال هائل خاوٍ يحتاج من يسبر غوْره، وقد ظهر فى آفاقه فى الآونة الحاضرة بعض الكواكب والأقمار ولكنها لم تُنِرْ كل أرجائه، حتى سطع هذا النجم المسمَّى د. توكل فألقى من نوره على خفيَّات العلاقات الزوجية بهذه الحزمة التى أجْلت كثيرًا من غوامض الحياة الزوجية تحت اسم: إبهاج الأزواج.

فهنيئًا للأزواج وبشرى لمن يتأهل للزواج بهذا المؤلَّف وبهذا المؤلِّف، وأهلاً وسهلاً ألفًا كواملاً به فى عالم العلاقات الزوجية، وكم يسرنا أن يتقدَّم بأنوار فنونه كلها فى كافة المجالات، فالعالم يزداد ظلمةً من حوْلنا بظلم وجهل الظالمين والماكرين، ولكن يأْبَى الله إلا أن يتم نوره بسواطع أنواره فى قلوب الدعاة المؤمنين الهادين للخلق أمثال د. توكل ولا نزكيه على الله تعالى.

هذا الكتاب بحجمه الصغير يحتوى على إرشادات ونصائح وتجارب عملية ذات نفع كبير، والمؤلف بذكائه وخبرته وعلمه يستخرج من

النصوص والمواقف لطائف وعجائب ومواعظ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وبأسلوب رشيق ورزين، ساخر مرّة، ومُفْرح أخرى، يستخدم العامية فى سياق فصيح، ويكتب الفصحى بأسلوب عامىّ بليغ.

أدعو الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفع الله به قارئه ومؤلفه وناشره وموزعه، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

محمد حسين

الإسكندرية ٢٠٠٤

مقدمة

الحياة التى نحياها تحكمها قوانين وتسير وفْقَ سنن وتقوم على أسباب.

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠].

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الفتح: ٢٣].

ومن سنن هذه الحياة: سنة التزاوج ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]. وليس بالإمكان استمرار الحياة ودوامها بغير هذا التزاوج.

ولهذا أمر الله نوحًا أن يحمل معه فى سفينته ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [هود: ٤٠] أى من كل طائر وحيوان وحشرة، حتى إذا أُغرقت الأرض وهلكت كل الكائنات استطاعت هذه الأزواج أن تستأنف الحياة مرة أخرى بعد أن تهبط على الأرض ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [هود: ٤٨].

الزوج الإنسانى:

ومن خير هذه الأزواج وأكرمها على الله وأحبها إليه: الزوجُ الإنسانى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

ومن خلال هذه السُنة تُحفظ الحياة الإنسانيـة ويستمر النوع البشرى فى الزيادة، إلى أن تقوم الساعـة ويتـحقق لكـل من الرجل والمرأة نوع من السكينة والمودة والرحمة فى ظل بعضهم البعض.. إلى أن يأذن الله بزوال الكون وانتهاء هذه الحياة الدنيا.

أزواج المؤمنين:

ومن خير هذه الأزواج الإنسانية: أزواجُ المؤمنين وبيوتُ المسلمين، إذ تحقق - إلى جانب استمرار الحياة وحفظ النوع البشرى وإلى جانب السكينة والمودة والرحمة - عنصرًا آخر أهم من هذه العناصر جميعًا، ألا وهو حفظ الدين وتنشئة أبنائها وبناتها على الإسلام والإيمان والقرآن، وعلى الخير والبر والصلة وعلى التعاون فى النافع والتناهى عن الضار، فأزواج المؤمنين وبيوت المسلمين هم محضن الخير وسر البِشْر وينبوع الرحمة ومنهل السعادة ومورد الظمآن ومأوى الخيرات.

والحياة بغير أزواج المسلمين وبيوت المؤمنين لا طعم لها ولا قيمة، بل لا وجود لها. ولا تعجب إذا قلت أيها الأخ الحبيب وأيتها الأخت الغالية: إن الحياة الدنيا يتقرر إنهاؤها ويتحتم إعدامها يوم تخلو الأرض منكم «لا تقوم

الساعة إلا على شرار الناس»[1] ولا عجب ولا غرابة إذن أن نقول لكم أيها الأزواج المؤمنون: أنتم سر بقاء الكون ودوران الأرض، الشمس تشرق من أجلكم والقمر ينير فرحًا بكم..

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الأعراف: ٣٢].

*****

(١) مسلم.

تمهيـد

فشل مُركّب:

كنت فى سفرة قريبة، وركبت إحدى الحافلات الكبيرة، وأثناء الرحلة قام سائق الحافلة بتشغيل أحد أفلام الفيديو السخيفة - من وجهة نظرى - إلى حد بعيد، حيث لا قصة ولا حوار ولا سيناريو ولا تمثيل ولا تصوير ولا موسيقى. هو شىء من هذا الهـبوط وجزء من السقوط الذى لم يدع شيئًا فى بلادنا ولم يتجاوز شيئًا من مظاهر حياتنا.

الشـخص الرئيس فى هذا الفـيلم يمثل دور رجل مسـؤول، لكنه فى نفس الوقت كسـول ومهمل وعنده ما يشـبه التخلف العقلى، وغـير قادر بالطبع على أداء مهـامه بأى صورة من الصور.. حتى حـاطه الفشل من جميع جوانبه، وبالطبع أحاط مؤسسته التى كان يديرها.

نجاح مزيف:

ويندفع الرجل فى اتجاه الفشل بكل قوته حتى تعرف قدماه دور البغاء، فيتحول بفعل المخرج وفى آخر عـشر دقائق من الفيلم وبعد هذه الممارسة إلى إنسان آخر؛ نشيط ودءوب فاهم لعمله، وينتهى الفيلم بنجاح مفاجئ وغير متوقع لهذا الرجل وللمؤسسة التى يديرها. وواضح جدًا أن المخرج لا يحترم عقليـة المشاهد أو أنه افترض غيابها أو أنه كـما يقولون «المخرج عايز كده».

رسالة خرساء:

أما أنا فقد فهمت أنها رسالة واضحة إلى الشباب وإن كانت ملوية العنق مبتورة الأقدام، وهى رسالة صماء عمياء بكماء، وأحسبها أيضًا شلاء، يقول المخرج من خلالها: إن النجاح يبدأ بحرية الممارسة الجنسية المحرمة والتى أسماها ذلك الفاشل - الذى تحول بعد خروجه من دار البغاء مباشرة إلى ناجح - أسماها الثقافة الجنسية، واعتبر أن الثقافة الجنسية بهذا المفهوم هى بداية النجاح..

كل ذلك قد لا يكون له علاقة بموضوعنا، ولكن عبارة قالها ذلك الناجح الفاشل وهو فى دار البغاء «نحن شعب محروم من الثقافة الجنسية لأنها عندنا حرام».

فسأله صاحب الدار: «فماذا يحدث بعد الزواج» فأجابه الفاشل ساخرًا: «يحدث طلاق».

طعنة نافذة:

وبقدر ما كان الفيلم موجعًا وسخيفًا بقدر ما كانت هذه العبارة طعنة قوية نفذت إلى قلبى فآلمتنى أكثر مما آلمتنى الساعة التى مرت قبلها.

أولاً: لأنه بقوله حرام، نسب التهمة إلى الدين، والدين من هذه التهمة براء.

ثانيًا: لأنه أراد أن يفهمنا أن الثقافة الجنسية هى ممارسة البغاء، والفرق شاسع - كما أعتقد - بين الأمرين.

ثالثًا: لأنه حكم على المتزوجين بالفشل وأن الطلاق والانفصال هو مصيرهم الذى تم تقريره.

جهل وتجهيل:

صحيح أن جهل الكثيرين بطريقة التعامل مع المرأة فى المواقف والمناسبات المختلفة وعدم قدرة الطرفين على الوصول إلى صيغة محترمة ووقورة للتفاهم ومن ثَم المعاملة؛ أقول: هذا الجهل أدى إلى مشاكل عديدة فى أغلب البيوت وحالات الانفصال بالطلاق وبغيره كثيرة ومتعددة.

ولكن الحقيقة التى لا يمكن إغفالها أيضًا أن هذا الجهل هو جزء من الجهل العام الذى أصاب نواحى الحياة جميعًا، فلم يسلم منه جانب من جوانبها، وليست العلاقة الزوجية فقط هى التى أصابها الفتور إلى حد الضمور ومُنيت بالتفكك إلى حد التهتك، وإنما كل العلاقات باءت بذلك، وهذا بفضل الثقافة الغربية أو الشرقية التى صارت محور حياتنا، وأيضًا بسبب غياب الأسوات والقدوات والنماذج الراقية، وأيضًا بفضل الإعلام الذى عمل على تفتيت كل العلاقات من خلال الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والحوارات التى لا تخلو من خلاف بين المرأة وزوجها يصل إلى حد الشكوك والخيانات، وخلاف بين المرأة وأم زوجها، وآخر بين الرجل وأم زوجته يصل إلى حد التراشق بالعبارات وتبادل أسوأ الكلمات، وخلاف بين الآباء والأبناء، وآخر بين الإخوة والأشقاء، ثم خلاف بين الوجه القبلى والوجه البحرى فى صورة نِكات لاذعة ومواقف

ساخرة، وكأن الخلافات إلى حد التفرق والانشقاقات إلى حد التمزق أمر حتمى لابد من وجوده فى المجتمعات المسلمة.. وهى خطة يهودية قديمة وضعها شاس بن قيس وأبطل مفعولها فى زمانه نبينا ﷺ يوم أن سعى شاس للوقيعة بين الأوس والخزرج حتى كادا يتقاتلان وأسرع النبى ﷺ إليهم يجر رداءه وهو يقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة»[1] ولكن شاس باض وأفرخ وأظلت شجرته الخبيثة بلاد المسلمين وأكلوا ثمارها المرة ولا علاج لذلك كله إلا بالعودة إلى الإسلام كله عودة شاملة علمًا وعملاً وبطريقة تشخص الداء وتمنح الدواء وتضمن الشفاء.

علمٌ وتعليم:

ولما كان الإسلام دين العلم والحضارة والرقى الأخلاقى، وهو الدين الوحيد الذى أنصف المرأة وأعطاها حقوقها التى تستحقها وعلم كلاً من الرجل والمرأة كيف يقيمان بيتًا ترفرف عليه السعادة وتحوطه الهناءة ويغشاه السرور، وذلك من خلال آيات قرآنية وأحاديث نبوية عاشت الأمة فى ظلالها قرونًا طويلة فسعد الرجال والنساء.. حتى دار الزمان دورته وتخلفت الأمة عن ركب الحضارة؛ بِبُعدِها عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وجاء الطاعنون فى ثياب الواعظين الناصحين ليقولوا لنا إن سبب تخلفكم وسر شقوتكم هو هذا الدين، وإنكم لن تنهضوا إلا إذا اتخذتموه وراءكم ظهريًا!!.

---

(١) السيرة لابن إسحق وابن جرير الطبرى.

ما يعرف وما يقال:

لما كان الأمر كذلك أردت أن أساهم بجـهد المقل فى بيان هذا الجانب من الإسلام وكيف كانت هذه الثـقافة الجنسية محـورًا من محاور التعليم والتـثقـيف التى تناولهـا القرآن إجـمـالاً وتناولها الـنبى ﷺ بكثيـر من التـفصـيل، مع الرجال والنسـاء على حد سـواء، وأن بيوتًا كـثيـرة فى مجـتمعـنا عاشت بالإسلام ومـفاهيـمه فاسـتقامت وظلـلها الحب والود والوفاء.

ولكن السؤال الذى أطرحه:

هل يمكن عرض هذه الثـقافة ونشر ذلك العلم الذى يحـتاجه كل رجل وكل امرأة؟ أعنى: هل يمكن عرضه بالطريقة المفتوحة من خلال كتاب ينشر ليقرأه الجميع أو من خلال المناهج المدرسية كما هى الدعوة إلى ذلك الآن، أو من خلال برنامج إعلامى كما يحدث فى بعض الفضائيات يراه ويسمعه القـاصى والدانى والمتـزوج والعزب والمراهق والمنحـرف والمسـتقـيم والذى يستفيد بهذه الثقافة فيما أحل الله والذى يهدرها فى المعصية والمجون؟!

إن الواقع الذى تناول فيه المسلمون هذا اللون من التـثقيف يختلف عن الواقع الذى نعـيشـه، ومن ثم أصبح واجـبًا أن تخـتلف طريقة الـعرض والتلقين.. وهذا مجرد رأى.

ماض عفيف:

لقد كان النبى ﷺ يحدث أتقياء أنقياء أطهارًا أبرارًا فى جو إيمانى رائع لا تنحرف النفس عنه قـيد شعرة، وكان الكلام عن هـذه الممارسة وتلك

الثقـافة لا يثير فى النفس شـيئًا - تمامًـا كالكلام عن كيفـية وآداب تناول الطعـام ودخول المـسجـد أو الخـروج منه، أو كالكـلام عن آداب قضـاء الحاجة.

ثم كان المسلمون بعـد ذلك فى عصور الخير والبركـة والنهضة والعلم يدرسون العلم، فيـمرون على الآيات والأحاديث النبوية، فيـأخذون منها فـقه صـلاتهم وزكاتهم وحـجهم وجـهـادهم وبيعـهم وشرائهم وسـائر معامـلاتهم، ومنها فقـه الزواج والمعاشرة، وهم على طهارة فى المـسجد غالبًا، من شيـخ وقور أو عالم فاضل أو مُربٍ مُهذب، فـإذا انطلقوا بعد الدرس إلى بيـوتهم وأرزاقـهم فـلا عُـرىَ ولاَ تكشف ولا اخـتـلاط ولا مثيرات، أضف إلى ذلك أنهم كانوا غالبًا يتلقون ذلك منذ نعومة أظفارهم من جملة العلم الـذى يتعلمونه، فـقد جلس مالك للإفـتاء وهو فى سن الثامنة عشرة، وأفـتى الشافعى وهو فى الخامسة عشـرة من عمره بأمر من شيخه أبو خالد سليم بن خالد الزنجى، إمام أهل مكة، إذ قال له: «أفت يا أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتى»(١). ومعنى ذلك أنهم كانوا يتعلمون ذلك كله وليس فى ذهن أحـدهم ولا فى مـخيـلته ممارسـة ولا إثارة ولا شهوة، فـإذا بلغ أحدهم سن الباءة ورغب فى الإحصان فـما أسهل ذلك وما أيسره، فلا أزمـة سكن ولا أزمة شباب الخريجين، ولا مـهور غالية، ولا إثقـال لكاهله بالأثاث والمفروشـات والكماليـات، ولا روتين مـعوق للأفراح وحفلات الأعراس.

---

(١) النووى فى مقدمة المجموع.

في هذا الجو الطاهر النظيف وفى هذا الواقع الشريف العفيف، تلقى أبناء المسلمين هذه الثقافة، فانتقلت إلى داخل نفوسهم وترسخت فى أعماقهم دون أن يجدوا كلفة فى تلقيها ولا حرجًا فى مذاكرتها ولا عيبًا فى السؤال عنها باعتبارها جزءًا من الإسلام وقطعة من الحياة.

جواز الكتمان:

فإذا نظرنا إلى الواقع الذى نعيش فيه الآن، وهو غنى عن الوصف، لا نجد شيئًا مما ذكرنا آنفًا. فما هى الطريقة التى تتناسب مع الواقع الذى نعيش فيه حتى نحقق الفائدة المرجوة ولا نقع فى الآثار الجانبية السيئة عندما يشاع حديث هذه التفصيلات فى الفضائيات والمجلات والكتب فيتناولها الماجنون والخائنون ويستمع إليها الخليون والعاشقون فيتندرون بها ويلهون بها ويلعبون ويفسقون ويمرحون و....؟!

لقد ترجم الإمام البخارى فى صحيحه بابًا عنوانه «من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموا» وأورد حديث معاذ بن جبل: «**أتدرى ما حق الله على العباد**، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**. قال: **أتدرى ما حقهم عليه؟!** قلت الله ورسوله أعلم، قال: **ألا يعذبهم**» وفى رواية له فى صحيح البخارى: فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**».

نعم: يتكلوا، لأنهم سيحصرون معنى العبادة فى المفهوم الضيق من أداء الصلوات وبعض الشعائر والأذكار ثم ينتظرون دخول الجنة فلا سهر فى طلب علم ولا جهاد ولا أمر بالمعروف ولا نهى عن المنكر ولا قولة حق ولا....

وبناءً على فهمى لهذا الحديث وانطلاقًا من هذا العنوان «**من خص بالعلم قومًا دون قوم**» فإننى سأتناول كل ما يمكن تناوله إجمالاً من غير تفصيل، طالما كان التفصيل يتعلق بأمور الجماع ولحظة الاستمتاع فى الفراش التى لا يعرف المنحرفون غيرها ولا يفقه الخليون إلاها. وسيكون الكلام فيها بالاتصال المباشر أو بالمراسلة مع صاحب الحاجة.

وليس كل ما يعرف يقال، ولا كل ما يقال جاء وقته، وليس كل ما جاء وقته حضر أهله.

اقتراح:

وأقترح على الأئمة والدعاة ومن يهمهم الأمر، أن يعقدوا ندوات ومدارسات مع الشباب والأزواج فى المساجد، يتناولون فيها بالشرح تفصيلات هذه الثقافة وتوضيح هذا اللون من العلم المجهول، وإذا قلت «المساجد» فلأنى أحب أن يحف هذا الحديث قدسية المكان وطهارة الحضور لأنه يصعب فى هذا الجو المشحون إيمانًا أن ينصرف الذهن إلى لهو أو لعب، فضلاً عن أن ينشغل بخيانة أو مجون.

قسوة الرحيم:

والآن أخى الكريم وأختى الغالية.. اسمحا لى أن أكون فى بعض الأحيان قاسيًا فأقسو عليك أيها الزوج مرة وأقسو عليك أيتها الزوجة مرة أخرى، وذلك لشدة ما رأيت من صور الانحراف فى بعض البيوت عند كثير من الرجال وأيضًا عند كثير من النساء، مما جعلنى أستخدم أحيانًا أوصافًا صارخة أو تعبيرات لاذعة.. لكننى أود فى البداية والنهاية أن

يؤلف الله قلبيكما وأن يجمعكما على الخير والبر وأن ترفرف على بيتكما رايات الفرح والسرور وعلامات السعادة والبهجة والحبور.

فقسا ليزدجروا ومن يك راحـمًا فليقس أحـيانًا على من يرحم[1]

صواب وخطأ:

أخى الزوج الحبـيب: عندما تقـرأ هذا الكتاب سـتكتشف الكثـير من مزاياك وسـتحمـد الله عليها وسـيسرك أنك وفـقت إلى أدائها وفى نفس الوقت ستـقف على مزايا زوجـتك وستـحمد الله أنهـا وفقت لتـؤدى ما يرضيك ويعجـبك ولكنك أيضًا سترى بعض عيـوبك وستلمس كم كنت مقصراً . . . وقد ترى هذا أيضًا بالنسبة لزوجتك.

أخى الحبـيب ليكن هذا الكتاب بداية لكى تصـحح أخطاءك وتتجنب عيوبك. . وأرجوك لا تواجه زوجتك بعيـوبها وتقصيرها، وابدأ بنفسك، وكن جميلاً تر الوجود جميلا.

وأنت أيضًا أيتها الزوجة الغـالية: لا أقول لك أكثر مما قلت لزوجك، فإنى لم أكتب ما كـتبت ليتخذه الناس معياراً لنقـد بعضهم البعض، وإنما كتـبته لتأتلـفا وتجتمـعا، وليجـتهد كل واحد منـكم فى إسعاد صاحـبه، والمردود بلا شك لكما وأنتما الرابحان أولاً وآخراً.

ثم اعلما أن هذا الكتاب فكر إنسان وثقافة بشـر وجهد مخلوق يعتريه ما يعـترى سائر البشـر من الضعف والنسيان ولا يخلو من زلـة أو عثرة،

---

(١) من قصيدة البردى للبوصيرى.

ولكنه فى نفس الوقت يستضىء بالوحى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وهو فى نفس الوقت يتأسى بالنبى ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

لذا فإنى على يقين أنه صواب وأنه حق وذلك توفيق الله ورحمته وقد يكون فيه خطأ لم انتبه إليه أو عثرة لم أحسب حسابها فنبهانى إليه مشكورَيْن «والمؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيبًا أصلحه».

والله من وراء القصد

الحياءوالخجل

لسان العرب:

أورد ابن منظور فى لسان العـرب «أن الحياء من الحيـاة»، وما ذاك إلا لأن الحياء سبب حياة الدنيا وسبب حياة الآخرة، وعندما نقول حياة الدنيا لا نقصد بها حياة المأكل والمشرب، فإن هذا هو مقصد الحيوان من الحياة، ولكن نقصد بها حياة السعادة والهناء والشرف والحق والعدل والحرية.

وأما الخجل فهوعنده: «المكان الكثير النبات المُلْتَف المتكاثف».

وهو: «ارتطام البعير فى الوحل فيتحير».

وهو: «الثوب الطويل الواسع» (الذى يتخبل المرء فيه).

وهو: «التباس الأمر على الرجل فلا يدرى كيف المخرج».

أرأيت كيف أن الخجل خبل وحيرة واضطراب.

كلمتان تستعملان كثيرًا على أنهما بمعنى واحد، أى مترادفتان، مع أن الفرق بينهما شاسع كما رأيت، فالحياء كما عبر عنه النبى ﷺ «**خير كله**» وقال ﷺ: «**الحيـاء لا يأتى إلا بخـير**» ولما جاءت امرأة من الأنـصار تسأل النبى ﷺ عن شىء يتعلق بأمـور النساء قالت عـائشة مثنية عليـها: «**نعم النساء نسـاء الأنصار لم يمنعهن الحيـاء أن يتعلمن دينهن**» وقد وضع العلماء حدًا فاصـلاً بين الحياء والخجل انطلاقًا من وصف النـبى ﷺ للحياء بأنه «**خيـر كله**» فقالوا: «إذا لم يمنع حـقًا فهـو الحيـاء أما إذا منع حـقًا فـهو

الخجل»[1] والحيـاء مطلوب ومرغـوب، والخجل مـرفوض. الحـياء دواء والخجل داء. الحياء يبنى والخجل يهدم.

الحياء لا يمنع حقًا ولا خيرًا ولا علمًا، والخجل يمنع الحق والخير والعلم.

موسى فى مدين:

ذكر القـرآن قصـة موسى فى مديـن، وكان منها هذه اللقـطة المصورة بتصـوير القرآن البـديع وكلماته البليـغة الهادية حـتى إنك لتكاد ترى من خلال الحروف صورة وتحس من تتـابع الكلمات حركة ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] فـلم يمنعها الحـياء وهى به مـلأى بل إن القرآن ليـصور الأرض وقد فرشت لها حياء وهى تمشى عليـه. لم يمنعها الحياء أن تخرج من بيتها وأن تذهب إلى هذا الرجل الغريب لتنقل إلـيه رسالة أبيها كاملة وهى نفـسها التـى منعها الحـياء فى آيتـين سابقتين مـن مخالطـة الرجال ومزاحمتـهم عند السقيا ﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣] وكلا السلوكين حياء وكلاهما خير.

*****

(١) النووى ومسلم.

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف:٨٥]

هى آية من سورة الكهف؛ تبين أن أمور الدنيا وسنن الكون تقوم على أسباب ولا تأتى اعتباطًا ولا مجاملة ولا محاباة.

وإذا كان كل شىء فى الدنيا يقوم على أسباب، فإن الحب والبغض يقومان أيضًا على أسباب.

فالحب له أسباب، وكم من محبَّيْن أهملا حبهما وتناسيا أسبابه فضعف بمرور الزمان وأصابه الضمور ثم الذبول ثم الموت.

وكم من متباغضين متباعدين تهيأت لهما أسباب القرب والحب فقاما برعايتها وتعهدا بذرتها فنما الحب بينهما وصارا من أعظم الأحبة.. ولنا فى رسول الله أسوة حسنة.

تقول السيدة صفية بنت حيى بن أخطب «ما كان أحد على وجه الأرض أبغض إلىّ من محمد؛ قتل أبى وزوجى.. فمازال يتودد إلىّ ويتحبب إلىّ ويقول إن أباك فعل كذا وإن زوجك فعل كذا.. حتى صار أحب الناس إلىّ»[1].

أكمل محبوب:

الأنبياء بشر يوحى إليهم، فأما من جهة الوحى فلا علاقة لهم بالأسباب، وأما من جهة السلوك البشرى فهم أكثر الناس أخذًا بالأسباب

---

(١) الرسول - سعيد حوى.

من غير تعلق بها، فانظر كيف تبدل الحب بالكراهية وتحولت البغضاء إلى ألفة ومودة.

امرأة قُتل أبوها وزوجها، هل تحب قاتلهم؟! هذا ما حدث، لكن النبى ﷺ يشرح لصفية لماذا قُتلَ أبوها وزوجها، ويقدم لها المبررات المقبولة شرعًا والتى يقرها الإسلام لقتل المعاندين له والمناوئين لدعوته الخائنين لعهوده ومواثيقه، وهى فى نفس الوقت ترى من النبى ﷺ من الود والحب وصفاء النفس وكرم الخلق وحسن العشرة ما يحول قلبها مائة وثمانين درجة - كما يقولون فى الهندسة المستوية - فيصير أحب الناس، وأين الأب والأخ من زوج كريم حيى رؤوف رحيم، بأبى هو وأمى ﷺ.

الحب والهوى:

وأشد ما يكون العقلاء خوفًا على المحب بغير سبب يستدعى الحب، لأنه إذا لم يكن الحب مسببًا فهو مبنى على الهوى، والذى يحب بالهوى ما أسهل أن يبغض بالهوى، إذ لا مقياس عنده ولا مرجعية إلا ما أُشرب من هواه، والهوى يتقلب.

ولعل هذا من معانى قوله ﷺ: «**أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**»[1] ومعناه أن تحب بأسباب لا للهوى، وأن تبغض لسبب لا للهوى، وأن تكون معتدلاً فى مشاعرك وعواطفك، فلا إفراط ولا تفريط ولا بخس ولا وكس ولا شطط.

(١) الترمذى، عن محمد بن سيرين وقال هو ضعيف والصحيح وقفه على علىّ.

حبة صارت شجرة:

كل شىء يبدأ صغيرًا ثم يكبر - عدا المصائب- فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر، وهذا من لطف الله ورحمته ورأفته بعباده.

الحب يبدأ صغيرًا، بذرة جافة لا حياة فيها، نزرعها بأيدينا ونرويها بعواطفنا ومشاعرنا وأحاسيسنا وحسن أدائنا، ونتعهدها برعاية الحقوق وصيانة الواجبات وحسن الظن والتماس العذر وترك المعاتبة وغض الطرف عن الهفوات وطرح اللوم والتأنيب، ثم بالبدء بالسلام ومد اليد للمصافحة والبشاشة فى الوجه والتبسم عند اللقاء ثم بتقديم الهدية والمداعبة والتلطف والمسارعة بالاعتذار عند الخطأ والإساءة، ثم بترك الأنانية وحذف المن والأذى من قاموس المعاملة، ثم بالنصح الشفيق والتوجيه الرقيق والتعليم المستمر. فإذا فعلنا ذلك أنبتت البذرة عودًا أخضر ثم أورقت ثم أغصنت واستوت على سوقها ثم أزهرت وأثمرت وأينعت وأظلت وأسعدت وأطعمت فأشبعت.

والإهمال فى أى مرحلة من المراحل يجعل الشجرةَ مسكنًا للحشرات والثمرة مرتعًا للآفات، فتذبل الأوراق وتتكسر الأغصان ثم يهوى الجذع خاويًا ليحترق حطبًا فى أول تنور يلقاه.

*****

آلية النمو

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]

سأل رجل أحد العلماء قال: هل ترى فى القرآن أن الحبيب لا يؤذى حبيبه، قال نعم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨].

وسأل آخر أخاه: هل تجد فى القرآن أن الاشتراك فى البلوى يخففها قال نعم ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩] فهو ينفع فى الدنيا ولا ينفع يوم القيامة.

وانطلاقًا من هذه المعرفة سألت نفسى سؤالاً: هل علَّمنا القرآن كيف ينمو الحب ويزداد؟ ولم تدم حيرتى طويلاً بفضل الله ورحمته حتى اهتز قلبى طربًا ورفرفت نفسى فرحًا وأنا أتلو هذه الآية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومعناها أن المحب لابد له من أداء يؤديه، فإذا أدى أحبه المحبوب فصفا له وقربه إليه فازداد المحب حبًا وإحسانًا وأداءً فازداد المحبوب صفاءً ورقة وودًا فى دائرة متكاملة لا تعرف الانفصال.

فليس الحب من طرف واحد ولا من جهة واحدة وإلا كان مقعدًا

وكسيحًا، لكن لابد له من جهتين وطرفين تغذى إحداهما الأخرى، ولا يضمن استمراره إلا حسن الأداء والقيام بالواجبات وغير ذلك من مقاييس الإحسان التى ستمر بنا إن شاء الله رويدًا رويدًا.

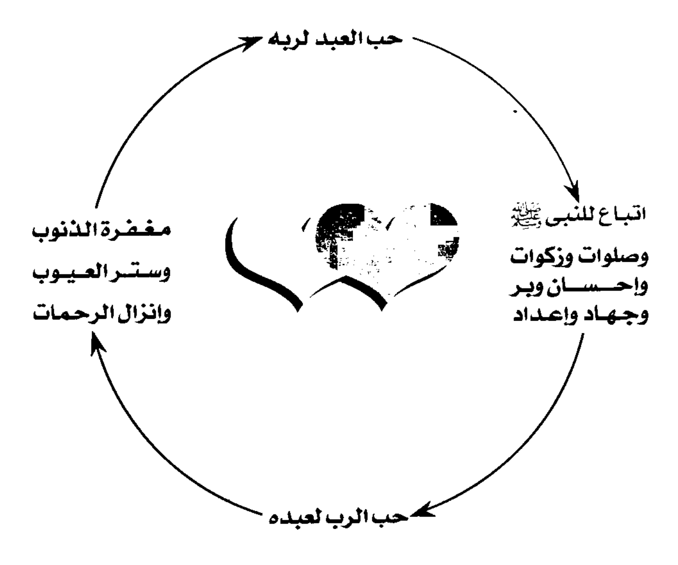
هما عمودان:



إن البيوت أخى الحبيب وأختى الغالية لا تقوم على الحب وحده، وإنما تقوم على الحب والأداء. وحب بلا أداء عاطفة شلاء لا تلبث أن تصرع مع أول موقف جاد، وأداء بلا حب جفاء وغلظة، وعندما أقول البيوت لا أعنى الشقة والفرش والأثاث والديكور، لكن كلمة البيوت عندى تعنى العلاقة بين الرجل وامرأته، وما أجمل الحكمة التى أوردها ابن تيمية بقوله (المؤمن للمؤمن كاليديين تغسل إحداهما الأخرى)[1] ولك أن تتخيل رجلاً يريد أن يغسل يديه ماذا يصنع؟!.. يفتح صنبور الماء أولاً ثم تقترب اليدان وتبدآن فى العمل حتى يتم التنظف.

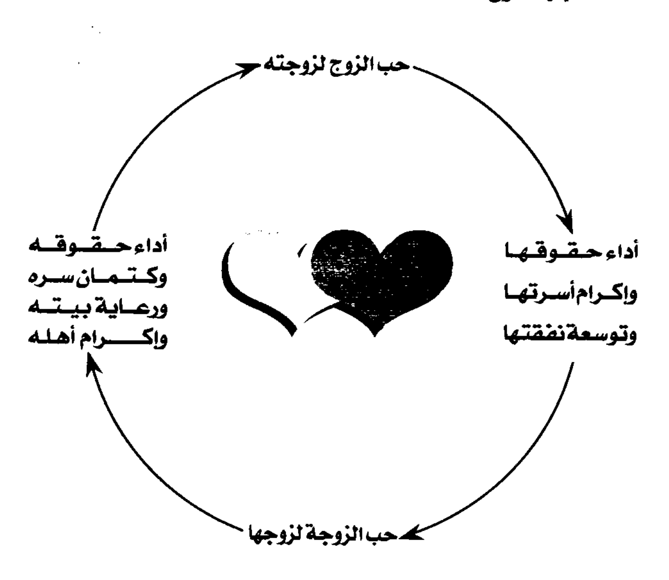
---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص٥٣. وهو حديث مرفوع رواه أنس وصيغته «مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقى أحدهما الأخرى» رواه ابن شاهين وصاحب كنز العمال.



فإذا بالعجلة تدور: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة:١١٩].

فإذا أردنا تطبيق نفس الآلية على العلاقة الزوجية فإنها تكون هكذا:



إن هاهنا ثلاثة أشياء لابد من توافرها:

١- الحب.   ٢- والقرب.   ٣- والاحتكاك.

أما الحب فهو الماء المناسب من البداية إلى النهاية، يبدأ قبل العمل ويستمر، فينقطع العمل ولا ينقطع الماء.

وأما القرب فهو قرب اليدين، ولو ابتعدتا ما حدث التنظف، والاحتكاك هو حركة اليدين مع بعضهما ويكون قويًا أحيانًا، لكن الماء المناسب يجعله لطيفًا ومقبولاً ومحببًا إلى النفس.

إن العلاقة الزوجية لكى تؤتى ثمارها فى الارتقاء بالزوجين والنهوض بهما، ويَضمن لها الاستمرار، لابد لها من هذه العناصر الثلاثة:

أولاً: قرب الزوجين؛ بالتعارف والتفاهم إلى درجة الانفتاح (الإفضاء).

ثانيًا: أداء مستمر من الطرفين تجاه بعضهما - بلا ملل ولا كلل.

ثالثًا: حب عميق يلطف هذا الأداء ويلين الاحتكاكات اليومية.

جرب بنفسك:

أخى الزوج الحبيب وأختى الزوجة الغالية:

إن فقدان أى عنصر من هذه العناصر الثلاثة لا يمكن أن تنتج عنه علاقة زوجية ناجحة نظيفة، وإذا كنت فى شك من قولى فقم إلى موضع الاغتسال من بيتك وقم بعمل ثلاث تجارب:

- استخدم فى التجربة الأولى العنصر الأول والثانى؟

- استخدم فى التجربة الثانية العنصر الثانى والثالث؟

- استخدم فى التجربة الثالثة العنصر الثالث والأول؟

اكتب نتائج تجـاربك الثلاث بنفسك، دونها واحتفظ بهـا وارجع إليها كلما حدث ما يعكر الصفو لتعرف بنفسك: أين موضع الخلل؟!

ستجد فى التجربة الأولى: أن الألم شديد وأن حرارة الاحتكاك مؤذية وأن الاستمرار غير ممكن والتنظيف مستحيل. كيف وقد غاب الماء؟!

وستجـد فى التجربة الثانيـة أنك أشبه بالمهرج وأنك لما تـباعدت يداك فقـدت الاحتكاك وانساب الماء سـدى وضاع جهـدك هباءً، وستـجد في التجربة الثالثة أنك فى حالة من الركود تدعو لمزيد من الأَسَن وتبعث على الحزن والأَسَى.

*****

المرأة أولاً
Lady is first

تكريم اللئيم:

ربما يكون هذا الشعار البراق الذى رفعه بعض فلاسفة الغرب ونبه فيه إلى تقديم المرأة على الرجل فى بعض المواقف وكثير من المواطن. ربما يحسبه بعض الناس وبالذات بعض النساء والسذج والبسطاء تكريمًا وتقديراً للمرأة واعترافًا بفضلها، وهو فى الحقيقة غير هذا. فالذين عاشوا فى المجتمعات الغربية وأدركوا كم من الإهانات ومن التحقير يلحق المرأة هناك حتى فى هذا الشعار الذى ظاهره الرحمة والتقدير وباطنه العذاب والتسخير، لأنه لا يعنى عندهم إلا تقديم المرأة - أى امرأة - أمام الرجل لتسبقه بخطوات فى الدخول والخروج من وإلى المكاتب والإدارات وتسبقه فى صعود السلم ونزوله ودخول المصعد والخروج منه، وليس فى هذا تكريم ولا تقدير، ولكنها وسيلة يتمكن الرجل بها من تفحص مفاتن المرأة وترقب مشيتها ومتابعة خطواتها والنظر إلى السيقان والأرداف وغير ذلك من العورات.

تكريم الكريم:

أما تكريم الإسلام لك أيتها المرأة، فهو غير مسبوق ولا ملحوق. لقد قدم الإسلام المرأة فى مواطن شتى تقديمًا حقيقيًا من أول تقدير الهبة ذكورة أو أنوثة فقال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾

[الشورى: ٤٩]. لذلك سرى عند كثير من المسلمين الاعتقاد ببركة المرأة إذا كان أول ولادتها أنثى.

وقدم القرآن حقها على حق زوجها فقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فأصبح من الأدب أن يؤدى الرجل حق امرأته قبل أن يطالب بحقه.

وقدم القرآن فضلها فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] فحقها قبل حقك وفضلها قبل فضلك، لكنه أخرها ليسترها ويحميها ويكرمها ويمنع نظرات الذئاب المفترسة وأنياب الوحوش الكاسرة من بعض الآدميين الذين هم قريبو الشبه بالبشر، وقد تعلمنا هذا من موسى إذ جاءته المرأة تطلب إليه أن يقابل أباها، فسار أمامها وسارت خلفه تدله على الطريق بحصيات ترميها يمنة أو يسرة أو بعبارة قصيرة أو بإشارة لطيفة.

حتى فى المزاح والملاعبة والمضاحكة، بدأ النبى ﷺ بحق المرأة، فقال لجابر: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك**»[1].

أنت الذى تهتم وتبتدئ فتؤدى الحقوق.

وأنت الذى تبدأ فتضاحك وتلاعب وتمازح.

وسيكون المردود بلا شك فى صالحك.

*****

---

(١) البخارى.

لست بأفضل منها

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] . ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]

بيئات:

لقد نشأ بعض الناس فى بيئات ومجتمعات يفضل الرجل فيها أن يولد له ذكر يشاركه السعى ويدفع عنه الأعداء ويتقوى به على الخصوم والمنافسين، وتفضل المرأة كذلك أن تلد ذكرًا لأنه أضمن لاستمرار الزوجية من وجهة نظرها وأصون لكرامتها بحكم الواقع الذى تعيش فيه حيث إنها فى حالة عدم ولادة الذكر ولا سيما إذا تكررت منها ولادة الإناث؛ تتعرض للإهانة والازدراء، وربما تبيت مهددة بالطلاق، وقد ضجت امرأة بذلك قديمًا فقالت:

ما لأبى جعفر لا يأتينا

يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينا

وإنما نحن كالأرض نُنبت ما قد زُرِع فينا

رجل وظل:

والغريب أن ينتقل هذا الشعور بشكل خاطئ إلى كثير من الرجال، فظن أحدهم أنه أفضل من المرأة، فتعالى واستكبر ونظر من علٍ وتعامل من فوق، والأغرب أن ينتقل هذا الشعور إلى المرأة، فظنت أنها دون الرجل مطلقًا، فقبلت بالمهانة ورضيت بالذلة والصغار حتى شاع المثل المهين الذليل الحقير «ظل رجل ولا ظل حيطة» يقصدون به أن امرأة معها رجل ليس له من الرجولة إلا الظل خير من امرأة فى ظل حائط، وأنا أقول: إن حائطًا بلا ظل خير من ألف رجل ليس له من الرجولة إلا الظل.

أدوار:

وحقيقة الأمر أنها قضية أدوار، فأنت تؤدى دورك الذى أناطه الله بك وهى تؤدى دورها الذى حدده الله لها، وهو سبحانه رب الرجال والنساء، وستقف أنت وهى أمام الله ليحاسب كلاً منكما على دوره وقيامه بمهامه، فلنحرص على أن نقف فى هذا اليوم متحابين لا يسأل أحدنا صاحبه شيئًا حتى يقال لأحدكما «خذ بيد صاحبك وادخلا الجنة»[(١)].

وافدة النساء:

لقد ذهبت أسماء بنت يزيد الأنصارية إلى النبى ﷺ تسأله عن هذه الأفضلية فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله ابتعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك وصدقناك وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا

---

(١) الحاكم.

بالجُمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج والعمرة وأفضل من ذلك كله الجهاد فى سبيل الله وإننا معاشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وإنكم إذا خرجتم حاجين أو معتمرين أو مجاهدين حفظنا لكم أموالكم وربينا لكم أولادكم وغزلنا لكم أثوابكم فهل نشاركم الأجر يا رسول الله. فالتفت النبى ﷺ بوجهه كله إلى أصحابه وقال: **هل سمعتم مقالة امرأة فى دينها أفضل من هذه.** قالوا: ما كنا نظن أن امرأة تهتدى لمثل هذا. فقال لها النبى ﷺ: **اعلمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن طاعة المرأة لزوجها وحسن تبعلها له وموافقتها مرضاته يعدل ذلك كله..** فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشاراً[١].

نعم إنها قضية أدوار، وشرف الإنسان فى القيام بدوره، وليس هناك دور أفضل من دور ولا مهنة أشرف من مهنة طالما كانت كلها تخدم هذا المخلوق الإنسانى فى حدود ما أحل الله وقدر، لكن الشرف والفضل يكون فى الإنسان ذاته، فماسح الأحذية الذى يتقى الله فى مهنته ويؤديها بأمانة أشرف من طبيب يترك مرضاه هملاً، بل أفضل من عالم لا يتقى الله فى فتواه.

وامرأة تؤدى حق زوجها وولدها وبيتها، أكرم عند الله من رجل له أربع نسوة لا يؤدى حق الله فى واحدة منهن.

*****

---

(١) الدر المنثور جـ٢، ص٥١٨.

وليست هي بأكثر احتياجا إليك

فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الله ولم يجعل الله أحدًا فى حاجة إلى أحد وإنما جعل بعض الناس فى حاجة بعض ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

ويبدو لى وأعتقد أن كلاً منهما فى حاجة إلى الآخر بنفس الدرجة وعلى نفس المستوى. قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٢].

أنت تؤدى دورك خارج البيت وأحيانًا داخله، وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن فعل النبى ﷺ عندما يكون فى بيته فأجابت: «مثل أحدكم فى مهنة أهله»[١].

وهى تؤدى دورها داخل البيت وأحيانًا خارجه، تحفظ مالك وتصون أسرارك وتربى عيالك وتعد لك طعامك وشرابك وتهيئ لك ملبسك وفراشك، ليس باعتبارها خادمة ولكن باعتبار رغبتها فى إسعادك وبذل الجهد لراحتك.

حتى فى لحظة الفراش ووقت الاستمتاع الجسدى فهو متبادل، فاستمتاع يقابله إمتاع، ولابد أن يحرص كل طرف على أداء واجبه ونيل حقه بنفس الدرجة وعلى نفس المستوى.. حتى قال العالمون ببواطن الأمور: إن أفضل ألوان الاستمتاع تحدث عندما يبلغ الرجل والمرأة هذا الحد فى نفس الوقت ويحققان ما يريدان فى نفس التوقيت.

أرأيت أخى الحبيب وأختى الغالية أنه: كلما توافقتما كلما سعدتما.

---

(١) البخارى.

ولكنك أنت المدير

نعم أنت القائد والدليل ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

لقد اقتضت حكمة الله أن تجتمع الرئاسة فى يد واحدة وفى عقل واحد وقلب واحد، والمثل العامى القديم يقول: «المركب اللى له ريسين يغرق» فلابد لكل سفينة من ربان واحد، ولكل دولة من رئيس واحد، ولكل شركة من مدير واحد، وكذلك البيت لابد أن تجتمع رئاسته وإدارته فى يد واحد من اثنين الرجل أو المرأة.

وقد أعطى القرآن هذا الحق للرجل أو قل إن شئت: لقد حمّل القرآن الرجل هذا الواجب فهو ليس تشريفًا بقدر ما هو حمل ثقيل وتكليف.

وقد أهّل الله الخالق، الرجلَ لحمل هذا العبء ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

فيما عدا بعض الأحوال النادرة والشاذة التى تكون المرأة فيها هى المدير والرئيس وهى صاحبة القرار، وقد بُسط ذلك فى مواضعه من كتب الفقه لمن شاء.

الكلمة الأخيرة لك والقرار النهائى من حقك، ولابد أن تصر على ذلك وأن تتمسك به، إلا إذا فوضتها فى بعض الجزئيات أو أوكلت إليها بعض الأعمال والتى غالبًا ما تكون هى أدرى بها منك؛ من أمورها أو

أمور بيتهـا، ولابد من إعطائها مساحة بهذا الشكـل حتى لا تتحول أنت إلى طاغوت أو ديكتاتور تتعالى فى إسفاف وتتبختر فى إجحاف، وتتحول هى إلى جهاز يعمل بالضغط على الأزرار.

نحن نريد إنسـانًا صـاحب إرادة، رجـلاً كان أو امـرأة، ولا نحب من كـان مسلوب الإرادة ضعيف الشخصية عاجز الهمة، وإن كان طفلاً أو امرأة بل وإن كان عبدًا حبشيًا.

وليست الإدارة قهرا ولا جبرا

وإنما هى توزيع مـسـئوليـات وتكليف بمهـمات ومـراعـاة لاختـلاف القـدرات، واستثنـاء بعض الفئـات وإمهال مـحدود الإمكانـات وإجزال المكافآت للمـبدعين ومراعاة الحاجـة الإنسانية من مأكل ومـشرب وملبس وراحة ونوم وترفـيه، وعـدم إغفال العـقوبات فى بعض الحـالات وأخذ الآراء فى مـختلف المـناسبـات ومـراعاة نظرة الأغلبـيـات والنزول على النصـائح والمشـورات وأن تكون واسع الصـدر وأن توسع فى النفـقـات وتتحمل الأذيات وتصبر على المضايقات.

ورحـم الله والدى الذى كـان يقول لنا «ليس الكبـير فـيكم الذى ولد أولاً. لكن الكبير هو الذى يتحمل من الأعـباء ما لا يحتمله الآخرون».

*****

الخيرية والصلاح

قال النبى ﷺ فى الحديث: «**خيركم خيركم لأهله**»[١].

وقال أيضًا: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا أقسم عليها أبرته وإذا غاب عنها حفظته فى ماله ونفسها**»[٢].

النبى ﷺ يحدد بدقة مظاهر الخيرية فى الرجل وعلامات الصلاح فى المرأة فلا يخرج بهما خارج حدودهما.

صلاح أصيل وخيرية حقيقية:

إن صلاح المرأة وخيرية الرجل ليس فى ركعات يؤديها أو آيات يرتلها أو أعمال خير وبر يؤديها لمجتمعه، وإن كان هذا كله خير وبر وعبادة وطاعة، ولكن المقصود الخيرية الأصيلة والصلاح الحقيقى الذى يصدر عن رسوخ وفى غير تكلف، ذلك أن الإنسان يستطيع أن يتكلف لأصدقائه وأن يتصنع لأرحامه وأن يتظاهر لمجتمعه، ولكن لا يستطيع أن يصنع شيئًا من ذلك فى بيته لامرأته، كما لا تستطيع المرأة أن تؤدى هذا الأداء المصنوع لزوجها.

---

(١) ابن ماجة والترمذى.

(٢) ابن ماجة.

الإفضاء:

لقد انكشف كل منهما أمام الآخر انكشافًا تامًا وهو ما عبر عنه القرآن بالإفضاء ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١].

لقد انكشفت الأجساد وانكشفت معها الطبائع والأخلاق والسجايا والتطلعات والآمال وما عاد شيء مستورًا.

فإذا لم يظهر بعد هذا من الرجل إلا الخير فهو الخيّر فعلاً.

وإذا لم يُرَ من المرأة إلا الصلاح فهى الصالحة حقًا.

ولذلك:

وجب عليك أيها الزوج الكريم أن تستمع لرأى امرأتك فيك، بل اطلب إليها أن تقوله لك، وأن تذكر لك إيجابياتك وحسناتك لتثبت عليها وتستزيد منها، وأن تذكرك بسلبياتك والذى يشين من أخلاقك أو سلوكك، وهذا واجبك أنت أيضًا نحوها، ثم لنضع أيدينا سويًا لنعمل خطة ونفكر فى طريقة ونصمم جدولاً للقضاء على السلبيات وزيادة الإيجابيات لتنمو الحسنات وتضعف السيئات وتتحقق فيك الخيرية ويتمكن منها الصلاح.

*****

رجلٌ كريم

قالت: زوجى رجل كريم ومهذب ولا أرى فيه شيئًا يعيبه، ولكن هناك أمر ينغص علىّ حياتى.

قلت وما هو؟

قالت: يتعامل معى بشكل رسمى وكـأنى زميلة له فى العمل أو جارة فى البيت أو أخت شقيقة.

قلت مستفسرًا: تقصدين أنه مقصر فى أداء حقك فى المعاشرة الزوجية وفيما يتعلق بأمر الفراش؟

قالت: لا، قضية الفراش ليس فيها أى تقصير أو مشكلة. لكن المسألة فيما عدا ذلك، فهو لا يعرف المزاح أو المداعبة أو... أو....

***

أيها الرجل الكريم المهذب. إن زوجتك يزعجها جدًا أن تكون علاقتك بها هى علاقة الفراش وفقط، ويضايقها أن تتحول إلى أداة للاستمتاع وأن يكون استمتاعك بها واستمتاعها بك مجرد لحظة مهما كانت هذه اللحظة طويلة وجميلة وفيها من اللذة ما فيها.

٢٤ ساعة:

إن المرأة تحب وتريد وترغب أن تشـعر بزوجـها فى الدخـول والخروج وعند المأكل والمشرب والنـوم واليقظة، يعنى تريده زوجًا لمدة ٢٤ سـاعة،

كل يوم وليس لمدة نصف ساعة كل يومين أو ثلاثة، وأعتقد أنك أيضًا كذلك، ومن هنا كان وصف القرآن لهذا المطلب. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٢].

لقد شبه القرآن علاقة الرجل بالمرأة بعلاقة اللباس بصاحبه، أى الملابس التى يلبسها كل منهما.

أليس اللباس زينة وجمالاً. وكل من الرجل والمرأة زينة للآخر، وإذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة فانظر إلى وجه رجل ماتت زوجته وهو الآن بغير زوجة، تجد الكآبة والعبوس، أو انظر إلى وجه امرأة أرملة أو مطلقة، تجد التعاسة والحزن وتجد صورة مرسومة لكلمة «الهم».

أليس اللباس وقاية من الحر والبرد، وكل من الرجل والمرأة وقاية لصاحبه من الانحراف والزلل، وكل منهما يأخذ بيد صاحبه إلى التقوى وإلى الخير والبر والصلة، وهما كاليدين تغسل إحداهما الأخرى.

أوليس اللباس سترًا - وكل منهما يستر صاحبه ويحفظ سره ويصون لسانه عن ذكر عيبه وما انكشف منه بحكم الإفضاء السابق ذكره.

أو ليس اللباس له بصاحبه علاقة الدوام والاستمرار واللصوق.

من ذا الذى يستغنى عن ثيابه لحظة، إلا إذا كانت لحظة الخلاء، إن الإحساس بالزوجية لايفارق الرجل والمرأة إلا إذا قبضت نفوسهما بالنوم، فإذا بُعثا عاد إليهما شعور الزوجية وما فيه من رغبات ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قبلة لا تفسد الصيام ولا تنقض الوضوء:

أرأيت إلى نبيك ﷺ: «**يقبل بعض نسائه وهو صائم**»[١] «**ويتوضأ ثم يقبل بعض نسائه ثم يخرج إلى الصلاة**»[٢] إنها قبلة الحب والود والاهتمام، وليست قبلة الشهوة والرغبة، إنها قبلة العاطفة والحنو وليست قبلة الإثارة والطلب، ولو كانت هذه الأخرى لفسد الصيام ولانتقض الوضوء.

المداعبة:

إن زوجتك تريد منك أن تداعبها بكلمة رقيقة تصف فيها ملبسها أو حسن خلقها أو براعة زينتها أو حتى فنها ومهارتها فى صنع الطعام أو فى إعداد المائدة أو ترتيب البيت ونظافة الغرف ولمعان الأثاث.

وهى تريد منك أن تداعبها بلمسة حانية فى وقت آخر بعيدًا عن الفراش.

وهى تريد منك أن تصنع كما كان يصنع النبى ﷺ فتقبلها فى الدخول والخروج إن كنت تملك إربك أو لم يكن وقت صلاة ولا نهار صيام.

*****

(١) البخارى ومسلم.

(٢) ابن ماجة والبخارى.

لطيفة

تقول: لى تجربة لطيفة مع زوجى، حيث إنه كان فى بداية زواجنا وأيضًا خلاله، دائم اللطف معى والمداعبة، ولكن جاءت عليه فترة أصابه فيها فتور، وأصابنى الحزن، وحاولت أن ألفت نظره إلى أنى محتاجة لأن يعود إلى مثل ما كان عليه.. ولكن دون جدوى، وصارحته بكل ما أوتيت من شجاعة.. ولكن النتيجة لم تكن مُرضية.

.. ثم قررت بعدما فقدت الأمل فيه، أن أقوم أنا بهذا الدور، فبدأت أمطره بكلمات الغزل والملاطفة المبالغ فيها أحيانًا، وأُصر على ذلك، وفى كل يوم أستفيد من كل موقف ولو كان بسيطًا لأثنى عليه، ثم حدث تحول كبير من ناحيته بفضل الله تعالى، وأصبح تعامله معى على أحسن ما يكون، وتحسنت العلاقة بيننا وازدادت المحبة أضعافًا مضاعفة حتى أننا بفضل الله نجد السكينة دائمًا ونشعر الآن وبعد أكثر من ست سنوات من الزواج بأننا فى شهر العسل الأول

ولا تعليق إلا الدعاء

اللهم احفظ وزد وبارك، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله نعم المرأة ونعم الزوج ونعم البيت ونعم الأم التى ربت ونعم الأب الذى هذب وأدب.

*****

وما يدرينى؟

جاء يشكو امرأته التى أرادها لنفسه ذات ليلة وبعد طول غياب، فامتنعت عقابًا له على مشادة كلامية جرت بينهما بالنهار ظن بعدها الصفاء، وأضمرت هى بعدها ردَّ الصَّاع، فأبت، وبات المسكين شر ليلة، وأمسك لسانه عن كلمة الطلاق بمشقة شديدة مراعاة لطول العشرة ونفسية الأولاد، ثم أصبح غاديًا إلى عمله والألم يعتصره. ومرت أيام وبدأت أعراض حبس الشهوة وكبح الجماح وكتم الرغبة تتناوشه، فإذا توضأ وخرج إلى الصلاة فلا يلبث إذا دخل المسجد حتى يجد نفسه فى حاجة إلى دخول الحمام لرش ثوبه بالماء وإعادة الوضوء، فإذا دخل فى الصلاة تناوبته الشكوك والريب أحدث شىء أثناء الصلاة أم لا؟!، وظل هكذا قرابة أسبوعين تمنعه رجولته من أن يكرر الطلب، ويمنعها حياؤها أو كبرياؤها من أن تقول: هيا.

فقلت: وماذا أنت صانع؟

قال: لابد من زوجة أخرى.

ثم التقينا بعد بضعة أيام فقلت: ماذا صنعتم؟!

قال: الحمد لله، جاءت واعتذرت وتسامحنا.

قلت: الحمد لله، عفا الله عما سلف.

قال: نعم، عفا الله عما سلف، ولكن ما يدرينى أنها لن تعود، ثم إن شيئًا بداخلى قد انكسر!!

على التنور:

أيتها الأخت الغالية والزوجة الحبيبة والمرأة الكريمة:

أنصتي لقول الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ولقول النبى ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[١]

وقوله ﷺ: «ولو سألها نفسها وهى على قتب رحل البعير لم تمنعه نفسها»[٢].

وقوله ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»[٣].

حماقة كبرى:

أيتها الأخت الغالية والزوجة الحبيبة والمرأة الكريمة:

إن حاجة الرجل إلى المرأة وحاجة المرأة إلى الرجل، كحاجة الإنسان إلى الطعام والشراب والهواء، سواء بسواء، وإن الجائع المحروم ليتلهف إلى الطعام، فإذا لم يجده فلربما نهبه أو سرقه وإن العَطِش الظمآن إذا لم يجد الماء فلربما وضع فى فمه قطعة حصى ملساء يستدر بها ريقه، وإن المرأة التى تمنع نفسها عن زوجها ترتكب حماقة كبرى، وتستحق عن جدارة أن تلعنها الملائكة حتى تصبح؛ إذ توقعه فى حرج شديد وتفسد عليه عبادته وحياته.. وقد تدفعه إلى الحرام صغائر أو كبائر.

ولن يمنع الرجلَ عِشْرةُ السنين ولا كثرة البنين ولا ظهور الشيب فى مفرق رأسه أو رأسك، لن يمنعه ذلك من أن يشبع رغبته ويقضى وطره من أخرى، والحلال موفور.. والاحتياط واجب.

---

(١) رواه البخارى. (٢) معجم الكبير ابن ماجة. (٣) الترمذى.

﴿ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٣]

جاء يشكو زوجته: سليطة اللسان، ردها جاف وكلامها واقف، إذا أمرتها لا تطيع وإذا خوفتها وهددتها قالت: اصنع مابدا لك، وإذا هجرتها قالت: أرحت واسترحت. جربت معها كل شيء فلم يفلح، ماذا أصنع؟!

قلت: أنا سمعت منك ولم أسمع منها، والحكم لاينبغي له أن يحكم حتى يسمع الطرفين.

قال: إن شئت أحضرتها لك فسمعت منها.

قلت: لا أحب أن أسمع منها الآن، وإنما أحب أن أسمع منك أكثر وأن تخبرني بالمزيد. أجب بأمانة من فضلك:

تحقيق:

١- هل تلقى عليها السلام عند دخولك البيت؟ قال: أحيانًا.

٢- هل تصافحها كلما دخلت البيت؟ قال: لا

٣- هل تذكر آخر مرة صافحتها بيدك؟ ابتسم خجلاً وقال: عندما كنا مخطوبين؟

٤- قلت: بماذا تناديها إذا أردتها أو أردت منها شيئًا؟ قال: يا أم إبراهيم لأن ابننا الأكبر اسمه إبراهيم.

٥- قلت: ما اسمها؟ قال: سها - مثلاً.

٦- قلت: ومنذ متى وأنت تناديها يا أم إبراهيم؟ قال: منذ اثنتى عشرة سنة - منذ ولد إبراهيم.

٧- قلت: وهل تقبلها عند دخولك البيت أو خروجك؟ قال: لا طبعًا، وإنما فى الفراش.

٨- قلت: وهل تجلس إلى جوارك عند تناول الطعام؟ قال: لا، ولكن نجلس جميعًا على مائدة واحدة، والأولاد بيننا كيفما اتفق.

٩- قلت: وهل تأتى لها بهدايا فى ذكرى يوم زواجكم والمناسبات الأخرى؟ قال: لا. من بعد هدايا فترة الخطوبة، وإنما بيتى لا ينقصه شىء.

١٠- قلت: وعلاقتك بوالدتها وأهلها. قال: سيئة لأنهم غير أسوياء .

١١- قلت: هل معك فى العمل أناس غير أسوياء؟ قال: كثيرون.

١٢- وماذا تعمل معهم؟! قال: أحتملهم وأبتسم فى وجوههم حتى تسير الأمور.

قلت: يكفينى هذا القدر.

مداولة:

أخى الحبيب: لقد أوصى النبى ﷺ «**إذا لقى الرجل أخاه أن يسلم عليه، فإذا حالت بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه**»(١) وأنت يحول بينك وبين امرأتك سبع ساعات غياب ثم تسلم أحيانًا!! أى قلب لك؟! ولقد بين النبى ﷺ أنه:

---

(١) أبو داود.

«ما من مسلمين التقيا فتصافحا إلا تساقطت ذنوبهما بينهما».

لقد حرمتها من اسمها الجميل الذى ارتبط بذكريات شائقة وطفولة بريئة وحب اللهو واللعب وفترة الخطبة السعيدة وزمان العقد وما قبل الدخول، الاسم الذى خرجت به من بيت أبيها والتصقت به والتصق بها قبل أن يخرج إبراهيم إلى النور. إن أم إبراهيم هذه من الممكن أن تكون عاملة عندك فى المصنع أو فراشة فى مدرسة ابنك إبراهيم أو إحدى الجارات، لكن لايمكن أن تكون زوجة.

لقد حرمتها من المداعبة والملاطفة والتواد، ولم تمتد يدك إليها بهدية طوال اثنتى عشرة سنة، وتحملت الأشرار فى عملك سبع أو ثمانى ساعات يوميًا حتى تسير الأمور ولم تحتمل أهلها الذين تراهم غير أسوياء لمدة دقائق أو سويعات تزورهم فيها أو يزورونك فيها كل أسبوع حتى تسير الأمور فى بيتك.

حكم وبراءة:

أخى الحبيب: لقد أتلفت حياتك بنفسك، وأفسدت زوجتك بيدك، وقطعت رحمها.

أخى: عد من جديد، وابدأ من الأول، وخير الخطائين التوابون. واتفقنا على جدول ومراحل ووسائل، وكنت كلما لقيته أسأله: كيف حالكما؟! فيقول: والله أحسن.

وبعد عام تقريبًا لقيته فقلت له: كيف حالكما؟ فقال: والله عدنا عرسان.

*****

أحبها كثيراً

يقول: لى زوجة أحبها كثيراً وأرى أنها أعظم نعم الله علىّ بعد نعمة الإسلام، أستودعها الله فى الصباح وأذهب إلى مكتبى وأظل فى اشتياق إليها حتى أرجع ملهوفًا لرؤيتها مشغوفًا إلى طلعتها، مع أننى أعلم أن كثيراً من الرجال وهم عائدون إلى بيوتهم يحلمون بالفراش الوثير أو بالمائدة العامرة بألوان الطعام وأصناف الشراب، أما أنا فلا أرى إلا زوجتى ولايرفرف علىّ إلا روحها، ولكنى غالبًا ما أُصدم باستقبال بارد، وكثيراً ما تحترق مشاعرى وتصل إلى درجة التفحم عندما تلقانى بلا مبالاة!! بين لهفى وشغفى وبين استقبالها لى ما بين السماء والأرض، وكثيراً ما أثرت هذا الموضوع معها وحاولت أن ألفت انتباهها بالتصريح أحيانًا وبالتلميح أحايين كثيرة.. ولكن دون جدوى، وقد تحدثت مع أحد المقربين فى هذا الموضوع، فكان رده: اصبر واحتسب.

قلت: أسألك سؤالاً: هل تجد نفس البرودة واللامبالاة فى الفراش وعند المباشرة؟

قال: لا. من هذه الناحية الأمور على مايرام ونحن سعداء جدًا فى هذا المجال.

قلت: جرب أن تكون ثقيلاً وأن تتظاهر أحيانًا بعدم الاهتمام وقلة الاكتراث، ولعل هذا يحرك اهتمام زوجتك ناحيتك.

قال: أنا رجل لا أعرف التمـثيل وأحب الصدق فى كل شىء حتى فى المشاعر والعواطف، وأعتقـد أن مثل هذا التصنع وذلك التكلف سيرهقنى أكثر من برود زوجتى لأننى سأتحـمل عبئين فى وقت واحد: عبء تكلفى وتصنعى وعبء برودها وفتورها؛ وقد اكتفيت بالأخير.

قلت: أشكر لك رهافة حـسك ورقة مشاعرك وصـدق عواطفك ونبل مقـاصدك. لقد أفدتنى، ويبـدو أنك جئت معلمًـا ولم تأت سائلاً وأتيت ناصحًا لا باحـثًا عن النصيحـة، وأعتقد أنك إن شـاء الله مأجور، وأضم صوتى إلى صوت ذلك المقـرب لأقول لك معه: اصبـر واحتسب، ولكن أحب أن أضيـف إليك شيئًـا، وهو أن تحمـد الله على حرارة اللقـاء عند المباشرة، فـقد كان من الممكن أن يجـمع عليك برودة النهار وبرودة الليل وأذكرك بحديث النبى ﷺ: « **لايفرك مـؤمن مؤمنة، إن كره منهـا خلقًا رضى منها آخر** »[1].

*****

(١) صحيح مسلم.

بلا شروط ولا قيود ولا بنود

غاضبة:

جاء يشكو: عدت إلى بيتى فلم أجد زوجتى ومعها طفلتى الرضيعة، وقد اتصلت بوالدتها وعلمت أنها هناك وأنها غاضبة من أمى. نحن نسكن فى بيت واحد وأمى فى شقة مجاورة لشقتى، وقد حدث هذا الأمر أكثر من مرة، وكنت أذهب فى كل مرة لأصالحها وأسترضيها وأعود بها إلى البيت.. لكن هذه المرة والدتها تشترط ألا تعود إلا إلى شقة فى بيت مستقل بعيدًا عن البيت الذى تسكن فيه أمى.

قلت: أشترط عليك إذا سمحت لى بالتدخل أن تنفذ ما أطلبه منك.

قال: لك هذا.

قلت: لا ترفع سماعة التليفون ولا تسأل عنها ولا عن أمها، ولاتذهب إلى هناك، واسمح لى بزيارة والدتك أولاً.. ثم بزيارة أسرة زوجتك ثانيًا.

زيارتان:

ذهبت إلى والدة الرجل واستمعت إليها، فتبين لى أنه ليس بينها وبين زوجة ابنها إلا كل خير، وأنها تخدمها وتحسن إليها وإلى ابنتها الرضيعة كلما سنحت الفرصة، لكنها لا تتفق مع والدتها فى بعض الأشياء ولا ترتاح إلى طريقتها فى الزيارة والحديث، ولذا فهى لا ترحب بها ولا تفتح لها صدرها.

ذهبت فى المساء إلى أم الزوجة واستمعت إليها وإلى ابنتها، فكان الكلام تقريبًا متفقًا ومتطابقًا مع ما سمعته من والدة الرجل.

حاولت جاهدًا إقناع الأسرة بعودة المرأة وطفلتها إلى بيت زوجها ولكنى فشلت فشلا ذريعًا، حيث كانت الوالدة ذات بأس شديد وصاحبة سلطان عريض جعلتنى أتمنى أن يكون لى سلطان عمر ودرته.

اللاءات العشر:

عدت ليلاً فوجدت الرجل واقفًا على ناصية الشارع والقلق باد على وجهه. سلمت عليه وقلت له باختصار: لا ترفع سماعة التليفون ولا تسأل عن زوجتك ولا عن طفلتك، وأرجو أن تدوس على قلبك قليلاً وأن تدعو الله أن يحفظهما من كل سوء وأن يردهما سالمتين غانمتين، ولا تذهب إلى هناك، وإذا اتصلوا بك فى عملك فلا ترد عليهم أو رد ردًا مختصراً ولا ترحب بأحد منهم إذا جاء إليك، ولا تدخل معهم فى حوارات ولا مفاوضات ولا مناقشات، وسترجع زوجتك ومعها طفلتها إن شاء الله بلا شروط ولا قيود ولا بنود.

الحديد والمبرد:

وظللت أتصل به للاطمئنان عليه، كل يومين تقريبًا، حتى كان اليوم الخامس عشر، قلت له: كيف حالك؟

قال: والله عال، وكانت البهجة والفرحة تنبعث مع نبرات صوته من سماعة التليفون.

قلت: وكيف حال الأولاد؟

فقال: والله عدت من عملى أمس فوجدتهم فى البيت.... بلا شروط ولا قيود ولا بنود. وكانت آخر مرة.

ولا يفل الحديد إلا الحديد

ولكل شيء آفة من جنسه   حتى الحديد سطا عليه المبرد

إن كثيراً من النساء تفسدهن أمهاتهن، وحب الذات أساس كل بلوى، وإن كثيراً من النساء يفسدهن أزواجهن بعواطفهم المفرطة وتساهلهم المفرط وتسامحهم فى غير موضع التسامح.

وإن استعمال الحق فى غير تعسف ولا شطط، قد يكون هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق الانضباط فى البيت وصيانة أركانه. وإن للتنازلات أوقاتًا لايصلح فيها إلا أن تتنازل.

كما أن للصرامة أوقاتًا لا يصلح معها إلا أن تكون صارمًا.

*****

صفعة....وتوبة

يقول: زوجتي أحب إنسان إلى قلبي. لا أظن أني أحببت أحداً مثل ما أحببتها. وقد تسألني: حتى....؟! أقول لك: حتى......!!.

في بداية زواجنا أسأت إليها كثيراً، وهي بالطبع كانت تسيء إلي أحياناً. لكن كان بيننا فارق كبير، كان يجمع إساءاتنا الجهل وعدم الخبرة وندرة التوجيه، وقد تسألني: على الرغم من التعليم الجامعي ومظاهر التدين!! أقول لك: نعم!... على الرغم من التعليم الجامعي ومظاهر التدين!!!!

ولكنني كنت أحبها وأرى أنها تحبني!

كانت تقصر في حقوقي وحسن استقبالي كما كانت لا تعتني بمظهرها ولا ترتب أولوياتها بشكل صحيح لكنها كانت عفيفة اللسان كريمة اليد خفيضة الصوت، لم أر مثل حيائها في أحد من النساء -بينما كنت أنا على العكس من ذلك غضوباً سريع الانفعال ينفلت لساني ويعلو صوتي وتمتد يدي إليها بالإساءة حتى صفعتها يوماً على وجهها (ضربتها بالألم) فأدميت أنفها.

***

ومرت الأعوام وبدأت أتفهم وأتحسن شيئاً فشيئاً، وهي كذلك أتقنت كثيراً من الأشياء التي لم تكن تتقنها، وكنت أجتهد كثيراً في الإحسان إليها وأتفنن في إكرامها تعويضاً عن سوابقي وتكفيراً عن سوالفي وقياماً

بحقـها حتى إننى أصـبحت أقبل يدها كلمـا دخلت البيت واستـقبلتنى، وكانت هى أيضًـا تصنع ذلك معى، ولكننى كنت حريصًا علـى التفوق، وكنت أسألها من حين إلى آخر:

أنت بتحبينى؟! فتقول: من أول ما عرفتك.

وأسألها أحيانًا: أنت مسامحانى!!

فتقول: «حتى لو انت ما سامحتنيش. أنا مسامحاك»

وأسألها مرة ثالثة: هل أنا الآن أفضل من ذى قبل؟!

فتقول: «أنت الآن أفضل بكثير، لقد تغيرت كثيرًا وتحسنت أكثر»!

كل ذلك لأننى كنت أخـشى من إساءاتى أن يؤاخـذنى الله بها وأحب أن أتوب إلى الله توبة كاملة.

***

وكانت صـفعـة وجهـها تمر أمـامى كل يوم تقريبًـا وأرى أننى لازلت مقصرًا وأننى حتى الآن لم أصحح هذا الخطأ حـتى كان صباح يوم جمعة وأصبحت مهمومًـا مغمومًا فقد أصبحت صورة الصـفعة وصوت اللطمة ولون الدم أصـبح كل ذلك يطاردنى فـينغص فرحـتى ويحـبط سعـادتى ويَحْرِمُنى النوم.

قمت إلى الحمام فاغتـسلت وتطهرت وصليت ركعتين ودعوت الله أن يفرج همى ويزيل غمى وأن يشرح صدرى، ثم انطلقت إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة.

كانت خطبة الجمعة عن التوبة وأن من شروط التوبة النصوح.

الندم على ما فات.

والعزم على عدم العَوْد

ورد المظالم إلى أصحابها

فإن حقوق العباد لا تسقط ولا يعفو الله عنها إلا إذا عفا عنها صاحبها. وإن من تمام التوبة رد ما كان مغصوبًا فإن كان قصاصًا مكن صاحبه من نفسه فإما أن يقتص وإما أن يعفو.

لقد قرأت ذلك مرات ومرات فى كتب الأخلاق والرقائق. . . . كيف لم أهتد إليه. . كل شىء بأوان.

عدت إلى بيتى أقود سيارتى كأننى أطير. الأرض تطوى طيًا لم أذكر أن اعترضتنى سيارة أو أوقفتنى إشارة.

استقبلتنى زوجتى أحسن استقبال وأكرمه ودخلت غرفتى ودخلت معى فضممتها وقبلتها لم أخلع ثيابى ولا فككت رباط حذائى.

قلت: انت بتحبينى.

قالت: بعد عشرين سنة لسة بتسألنى، اسأل روحك وهى تقول لك.

قلت: أنا عمرى ما حبيت حد زى ما حبيتك.

قالت: وأنا أيضًا. باحبك أكثر من نفسى.

قلت: لى عندك طلب إذا كنت بتحبينى.

قالت: أنا تحت أمرك!!

قلت: اضربينى بالألم!!

قالت: انت جرى لك إيه؟!!

قلت: أنا فى كامل عقلى وفى أتم أحوالى ولابد أن تنفذى.

قالت: إيه اللى حصل؟!

قلت: هذا الذى أطلبه منك. وكنت صارمًا وجادًا فى غير ما تردد ولا اهتزاز.

نظرت إلى نظرة عميقة سريعة وكأنها تقرأ فى عينى وعلى صفحة وجهى.... كأنها تقرأ سطور العشرين سنة.... ثم ألقت بنفسها على صدرى ودمعت عيناها وأشرق وجهها وقالت فى أجمل نبرة وأعذب صوت سمعته منذ أن تعارفنا «أنا سامحتك من ساعتها».

*****

هيا ندعو بظهر الغيب

يقول: انطلقت مع صاحبى بعد صلاة الفجر، وبينما نحن فى الطريق إلى منازلنا سألته عن حاله مع أهله فهو (عريس جديد). وكأنما كان على موعد مع السؤال، فانطلق يشكو عدم الوفاق وندرة الاتفاق حتى عاد البيت مكفهرًا وغلب العبوس والكدر على محيا الزوجين وحتى بات كل منهما يحدث صاحبه بعدم القدرة على الاستمرار فى حياة بهذا الشكل.

يقول: استشعرت بعمق مرارة الشكوى وعظم البلوى مع قلة الحيلة وانعدام الوسيلة، لأنى صاحب تجربة، فقد مر على زواجى سنوات عديدة ولازلت أجد أحيانًا شيئًا من هذا وأعلم كم تكدر هذه المشاعر صفو الحياة وتجعل الريق مُرًا والحياة خُسرًا والمكث فى البيت ضُرًا.

يقول: أجملت لصاحبى بعض النصائح ثم صافحته مودعًا والحزن يملأنى والأسى يعتصرنى، وما أن افترقت خطانا حتى انهمر الدمع من عينى بغزارة وانطلق لسانى بالدعاء وقلبى بالرجاء أن يحبب الله الزوجين إلى بعضهما وأن يذيب ما بينهما من جليد ويلين ما عندهما من جمود، وعملت لهما ورد دعاء، فلا يكاد يمر يوم من غير أن أدعو لهما فى الأوقات التى ترجى فيها الإجابة، فقد أشفقت عليه حقًا واغتممت له صدقًا.

يقول: وبعد فترة من الزمان، لا أدرى كيف تغيرت أحوالى مع زوجتى، وأصبح الحب يملأ قلبينا والسعادة تغشى بيتنا.. حتى صارح كل

واحــد منا صاحــبه بذلك، ويكاد لايمــر يوم حتى أصــارحهــا بحبى لهــا وتخبرنى بمثله، وحمدنا الله على ذلك كثيراً.

يقول: وكنت أسأل نفسى: كيف تحـولنا بهذه الطريقة وصرنا إلى هذا الحب والتسامح والـود، حتى تذكـرت يومًـا دعائى لهـذا الرجل بظهـر الغيب، فقلت: لـعل هذا هو السر فإن: **«دعاء الرجل لأخـيه بظهـر الغيب مستجاب»**[1] **«وأن الله يوكل به ملكًا عند رأسه يقول: آمين ولك بمثل»**[2].

وكنت كلما لقيت صاحبى أتحـرج أن أسأله حتى لا أقلب عليه المواجع كما يقـولون.. حتى آنست منه يومًا شـيئًا من البشـر والبشاشة فـسألته: كيف حالك مع زوجتك؟

فقال: لقـد تحسنت أحوالنا كثـيراً بفضل الله، وقد اسـتفدت من هذه التجـربة فائدة كبيـرة، وتحدثنا وتصارحنا، وأحـسب أننا قطعنا شوطًا فى التقارب.. وسوف نلتقى إن شاء الله التقاء كاملاً.

*****

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم

هيا نركع ركعتين

يقول النبى ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام يصلى من الليل فأيقظ أهله فإن أبت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت تصلى من الليل فأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء**»[1].

ومعنى نضحت الماء فى وجهه أن تبل يدها فى الماء ثم تمسح به وجهه فى رفق وحنو، فإن ذلك يساعده على الاستيقاظ ويدعوه إلى النشاط، وأنت أيضًا تصنع ذلك، واحذر أن تزعجها برش الماء فى وجهها، وهذا أول الرحمة، وبداية الصفاء، فإذا قاما فصليا توالت الرحمات. إن دعاء النبى ﷺ بالرحمة للرجل وللمرأة مستجاب، فلا خلافات ولا مشكلات ولاسوء تفاهم ولا شكوك ولا تباغض ولا تنافر، كيف وقد نزلت الرحمة؟!

إن الوفاق سيسود وإن الود سوف يعود وإن البشاشة تدوم والحزن معدوم: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾. [فاطر: ٢]

*****

---

(١) أبو داود.

الكرامة الإنسانية

بلا حدود:

التكريم الرباني للإنسان تكريم بلا حدود ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] لما خلق الله آدم. قال: ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾. [الحجر: ٢٨ - ٢٩].

ثم أوقف الملائكة أمام آدم لينبئهم الأسماء: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣] ثم أعلمنا بتسخير الكون كله لنا ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾. [الجاثية: ١٣] وقبل ذلك أعلن عن وظيفة هذا الإنسان: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

ومعالم التكريم وأماراته تبدو فى عدة أمور:

١- الإعلان العام الذى سبق خلق الإنسان.

٢- الإعلام بمهمة هذا الإنسان وهى خلافة الله فى الأرض.

٣- خَلْقُ الله لآدم بيديه.

٤- النفخ فيه من روح الله.

٥- إسجاد الملائكة لآدم تحية له.

٦- إيقاف الملائكة من آدم موقف التلميذ من المعلم.

٧- تسخير الكون كله لخدمة الإنسان.

وهذا التكريم لم يُستثن منه رجل أو امرأة.

وكل امرئ سَوِىّ حريص على أن تظل هذه الكرامة مصونة ومحفوفة بالعناية وألا يمسها ما يخدشها، فضلاً عن أن يجرحها.

وكل امرئ يرى أنك خدشت كرامته، فلابد أن يضع حائلاً وأن يقيم حاجزًا بينك وبينه أو قل إن شئت بينك وبين كرامته، لذا كان حرص الإسلام على ألا تخدش الكرامة لأن هذا ربما يمنع وصول الحق إلى الناس، فقد يرفضك الناس ويرفضون الحق الذى تحمله والخير الذى تسوقه إليهم لأنك تخدش الكرامة.

ومن الأمور التى قد تخدش كرامة الإنسان الأوامر المباشرة لأنها توحى بالاستعلاء وإن كانت خيراً وبراً.

وقد ذكر الله عن إبراهيم عليه السلام أنه قدم الطعام لضيوفه فوجدهم لايأكلون فقال لهم فى أدب جم وخلق رفيع داعيًا إياهم إلى تناول الطعام: «ألا تأكلون»؟ ولو شاء لقال لهم «كلوا».

ولما قال الله لموسى ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النازعات:١٧] علمه فى نفس الوقت كيف يخاطبه ويدعوه بطريقة لاتستفز كبرياءه ولاتستدعى غروره فقال لموسى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:١٨ - ١٩]... أى ما رأيك فى تزكية نفسك وأن أدلك على الله فتحقق الخشية؟!

ولو شاء لقال: «إن عليك أن تزكى وعليك أن تهتدى وأن تخشى».. ولكنه الأدب الربانى.

إن الأوامر المباشرة ثقيلة على النفس وتدفع إلى المعاندة والرغبة فى المضادة والمحادة، ولذلك:

أكثر من استعمال: لو سمحت، من فضلك، ما رأيك لو فعلت كذا، لى عندك طلب، محتاج إليك فى موضوع، نفسى فى الشىء الفلانى، اشتقت إلى الأكلة الفلانية، وحشنى ما اعرفش إيه.

وبعد كل أداء وإحسان ومعروف لابد من الشكر والثناء بعبارات متغيرة ومتجددة: جزاك الله خيراً، تسلم إيدك، ربنا يخليك لى، ماانحرمش منك، ربنا يكرمك، ربنا يسعدك.

أحب الأسماء:

ولا تنس مع كل طلب ومع كل شكر، أن تذكر اسمها، فإن العلماء يقولون: إن الإنسان يحب الذين يذكرون اسمه كثيراً، ولعله من أدب النبوة العالى أن يعلمنا أنه من حقوق المسلم أن تناديه بأحب أسمائه إليه[1].

المثل الأعلى:

ولعله من المناسب فى هذا المقام أن نذكر الله بأسمائه الحسنى فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وانظر كيف كان ذكر الله ودعاؤه بأسمائه الحسنى من أوسع الأبواب التى تحقق حب العبد لله وحب الله لعبده واستجابة الدعاء، وقد سمع النبى ﷺ رجلاً يذكر الله ويدعوه ببعض أسمائه فقال: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سأل به أعطى**»[2]. ولله المثل الأعلى

---

(١) مستدرك الحاكم.

(٢) سنن الترمذى.

حوطى على طيرك

مثل قديم صحيح مائة بالمائة «حوطى على طيرك لايلوف بغيرك».

كانت أمهاتنا سعيدات، وكان آباؤنا أكثر سعادة بأزواجهن، كانت تحوطه بالعناية والرعاية والاهتمام، وتتخير الألفاظ التى تروقه وتنتقى الكلام والثياب والطعام الذى يرضيه ويعجب ذوقه، وتراعى وقت نومه بالهدوء ووقت طعامه بالتهيئة والإعداد، وتكتم سره وتطيع أمره حتى لايرى فى الدنيا أجمل منها ولا أحسن منها.

إن كل جانب من جوانب الحياة يحدث فيه نقص ملحوظ وتقصير من جانب المرأة يتأثر الرجل به تأثرًا بالغًا وقد يراه فى غيرها مكتملاً - قد يراه فى أمه أو فى أخته أو فى أختها أو غير ذلك من النساء، فيقارن ويناقش ويوازن ثم يجول بخاطره بعيدًا عنها ثم بعينه ثم بقلبه ثم بجوارحه.

*****

«يا مآمنة للرجال»

مثل آخر صحيح، إذا فهم بمعناه الصحيح: «يا مآمنة للرجال يامآمنة للمية فى الغربال».

وهل يفكر فى وضع الماء فى الغربال سوى أحمق، وقد تكونين ما رأيت غربالاً ولا سمعت اسمه قبل هذه المرة، اسألى والدتك أو جدتك أو «اخطفى رجلك» إلى أقرب مخبز بلدى.

الأصل أن الرجل يثق فى امرأته وأن المرأة تثق فى زوجها ولفظ الخيانة منزوع من قاموس أزواجنا بل من مفردات حياتنا العملية.

وفرق ضخم بين الأمن المقصود فى هذا المثل وبين الثقة فى الرجل.

إن الأمن فى هذا المثل هو حدوث حالة من الثقة الزائدة بالنفس عند المرأة تؤدى إلى التفريط فى حق زوجها، ربما لشغف زوجها المستمر بها، وربما لتدليله إياها أكثر مما ينبغى، وربما لترك محاسبتها وتوقيفها على حدودها، أو لأن الأولاد قد كبروا وأن الأعباء قد زادت أو أن ذات اليد قد ضاقت فحسبت أنها الأولى والأخيرة أو أنها وحيدة دهره وفريدة عصره والمتربعة على عرش قلبه وأن الظروف أصبحت وأمست لا تسمح بأن يكرر الرجل التجربة، فصرفت نظرها عن الاستعداد الدائم وغفلت عن حقه، فإذا بها تفاجأ بما لم يكن فى حسبانها ولم يرد يومًا على بالها ولا دار بخلدها ونسيت أن «الحاجة أم الاختراع».

*****

ارحميه

وجوه علـى شاشة التلفـاز ووجوه فى المكاتـب والإدارات ووجوه فى الشوارع والميـادين ووجوه فى السـيارات والمواصلات وأخـرى فى الجرائد والمجلات، كلهـا لامعة، مزركـشة أنيقة الملـبس، متناسقة المظهـر، براقة الثنايا بابتسـامة مرسومة، شعـور مسترسلة، شذا العـطر يفوح يمنة ويسرة وهنا نقف، فإن تجاوز الوجوه يوقع فى المحظور إذ ليس الوصف غرضنا، وإنما أحببت أن أثير غيرتك على زوجك أيتها المرأة الذكية.

فليس من المعقـول أن يرى هذا كله بالليل والنهار، ثم يرجع إلى بيـته فلايجد منه شيئًا، وإن كنا نطالبـه بغض بصره وتقوى الله فى نفسه، فإننا نطالبه فى نـفس الوقت إذا وقعت عينه على مـا يثيـر أو إذا حدثته نفـسه وحيل بينه وبين قلبـه أن يسارع بالعودة إلى بيته وأهلـه ليرد النظرة الحرام بنظرة حلال ويضبط مـا أثير حرامًا بإثارة ترضى خـالقه ومولاه: «**إذا رأى أحدكم المرأة التى تعجبه فليرجع إلى أهله.. حتى يقع بهم فإن ذلك معهم**».

*****

ولا تقارن

وأنت أيها الرجل أرجوك!!.. لا تقارن، فلا وجه للمقارنة، فإن هؤلاء اللواتى رأيتهن، متخصصات فى الغواية، خرجن من أجلها، وهن حبائل الشيطان وتلامذته ومدرسوه وحواريوه، لا هم لهن إلا عرض المفاتن وإثارة الغرائز وقَوْد النفوس إلى المهالك، وخلفهن جهاز ضخم من مصممى الأزياء وعارضيها ومخترعى أدوات التجميل وصانعيها، وخلفهن إدارات ومكاتب واتصالات. ولا تعجب إذا قلت لك إن خلفهن دولاً وحكومات ودساتير وقوانين وتشريعات وجيوشًا وأسلحة وصواريخ ودبابات، كلها تصون الفاحشة وتدافع عن المنكرات، وها هو البرلمان الفرنسى يصوت بالإجماع على منع الحجاب، والجامعة الأمريكية بمصر تفصل المنتقبات، وإدارات التعليم فى مختلف المناطق تنقل المحجبات إلى مناطق نائية، وقد منعت بعض الشواطئ فى بلادنا النساء من النزول إلى الشاطئ إلا إذا تعرين من ملابسهن واكتفين بثلاثة أوراق من شجرة التوت أو من شجرة التين مراعاة لفروق المقاسات!!.

ثم إن أولئك المتخصصات يقبضن الرواتب ويجمعن الأموال، وقد تقدم لهن الشيكات على بياض ليكتبن فيها ما يردن من الأجور، وقد تعفى إحداهن فى النهاية من دفع الضرائب تقديرًا لخدماتها الجليلة ومواقفها النبيلة ومساهمتها فى الأعمال الخيرية!.

وزوجـتك ليس لديهـا مـن هذا، قليل ولا كـثـيـر، وهى أم أولادك وحاضنتهم، ثـم إنها تعد طعامك وشرابك وترتب فـراشك وتغسل وربما تكوى ثيابك، وقد تسـاعدك فى عملك ومهنتك وتستقـبل ضيوفك ليس بشخصها دائمًا وإنما بما تعد لهم من الطعام والشراب، وتصون أناقة البيت وحسن تأثيثه ليسرك ذلك حـين يدخل البيت أصدقاؤك أو إخوتك أو أحد والديك أو كلاهما.

*****

وكن بها رحيماً

بعض الرجال يـريد من زوجته أن تكون (غـسالة فـول أوتوماتيك) ومكواة بالبـخار ومكـنسة بالكهـرباء ومطبـخًا فـرنسـيًا وحلوانى شـرقى وغربى، وبعضهم يضيف إلى ذلك مـهمة المدرس الخصوصى لأولاده مع عدم إعفائها من مهامها المتعلقة به كرجل وزوج و. .

إن هذا عزيزى الزوج غير ممكن، بل ومـستحيل، وإذا أردت أن تطاع فأمر بما هـو مستطاع، وتستطيع أن تتـأكد من ذلك بنفسك بأن تشـاركها بعض الأعمـال لمدة نصف ساعة فـقط يوميًا لِـتَرَ بنفسك أن الحـمل ثقيل وأنها كثيرًا ما تكون معذورة.

*****

الحور العين والعور الطين

وصف القرآن نساء الجنة من الحور العين، فأخبر أنهن قاصرات الطرف ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]. . وقال عنهن: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وقال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣]، وقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، وقال عن نساء المؤمنين اللائى يدخلن الجنة: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦، ٣٧]، والعُرب كما جاء عند المفسرين: العواشق، المتحببات، الغنجات[١]، الشكِلات[٢]، المتعشقات، الغلِمات[٣]- المغنوجات».

وجاء فى وصفهن على لسان النبى ﷺ: **«عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها»**[٤] وفى رواية: **«وما فى الجنة أعزب»** [٥] **«ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحًا ولأضاءت ما بينهما»**[٦]

تقول لزوجها: **«والله ما فى الجنة شيء أحسن منك وما فى الجنة شيء أحب إلىّ منك»**[٧].

---

(١) الغنج: تكسر وتدلل

(٢) الشكِلة: من الشكل وهو الغنج والغزل وحسن الدل أى حسن التدلل.

(٣) الغلمة: قوية الشهوة على زوجها.

(٤) رواه الترمذى. (٥) رواه البخارى. (٦) البخارى.

(٧) ابن كثير فى النهاية.

ويدعون لأزواجهن: **«اللهم أعنه على دينه وأقبل بقلبه على طاعتك»**.

«وإن أزواج أهل الجنة ليغنين لأزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط وإن مما يغنين به: «نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام»[1].

«إن فى الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن أصواتهن لم تسمع الخلائق بمثلها» يَقُلن: **«نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»**[2]

«ولو أن حوراء بصقت فى سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها»[3]

وخلاصة هذه الأوصاف، أن نساء الجنة وحورها، أنهن فى جمال اللؤلؤ والياقوت والمرجان، وأنا شخصيًا ما رأيت لؤلؤًا ولا ياقوتًا ولا مرجانًا، وأنهن أبكار على الدوام، متحببات وعواشق لأزواجهن، وأنهن يحسن التدلل والتكسر وتنغيم الكلام، وصاحبات شهوة على أزواجهن، وقد وصف لنا حلاوة ريقها وعذوبة فمها وكثرة ثيابها وأنهن يغنين لأزواجهن بصوت حسن.

ولو أن الرجل انصرف ذهنه إلى الحورية وتمثل رؤيتها وطلعتها ومشيتها ووضاءتها وعذوبتها، لانصرف ذهنه عن زوجه وعن كل نساء الدنيا، ولوجد أن أجمل امرأة فى الدنيا عوراء إلى جانب هذه الحوراء. ومن هنا كان هذا العنوان الذى أرجو أن تسامحينى فيه أيتها الأخت الكريمة، فإنه

---

(١) الطبرانى

(٢) الترمذى

(٣) الدارقطنى والترمذى.

بُنى على «لو» وهو حرف امتناع، ويمكنك الرجوع إلى قواعد اللغة العربية أو أحد من أهلها ليحدثك عن «لو».

واعلمى أيتها الأخت الكريمة أن زوجك له فى الجنة نساء من الحور العين، وأنه إذا مات شهيدًا زف إلى اثنتين وسبعين منهن، دفعة واحدة، ولا أحسب أن ذلك كله قد أخبرنا به لمجرد أن يشتاق الرجال إلى الجنة ويسعون إلى الشهادة والموت فى سبيل الله، ولكن أظن وأعتقد أن استثارة غيرة المرأة على زوجها مطلوبة، ولاسيما إذا علمت أن الحوراء تنتظره وترقب اليوم الذى يلحق بها فيه «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**» [حديث][1].

أنتِ الأفضل:

وحتى لا أكون قد أزعجتك، فإنى أطمئنك وأبشرك بأنك أفضل من الحور العين ألف مرة، ولكن بشروط، فقد سألت أم سلمة يومًا النبى ﷺ قالت: يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين، قال: « **بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة** قلت: يا رسول الله ولم ذلك؟. قال: **بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله عز وجل**»[2].

إن الرجل يحب أن يرى زوجته فى سبعين حلة، يعنى فى مناظر كثيرة، تتقلب أمامه فى ألوان وأزياء، هذا للصباح وذاك بعد الظهر وآخر

---

(١) رواه أحمد.

(٢) معجم الأوسط.

فى المساء ورابع للنوم وخامس للصلاة وسادس للأعمال المنزلية وسابع للخروج وثامن لاستقبال الضيوف، على أن يلزم كل زى وقته وظرفه فلا يتعداه، فكما أن الرجل لايسره أن تخرج امرأته بملابس النوم إلى الشارع كذلك لايسره أن تستقبله زوجته بعباءة الصلاة ولا أن تجالسه وهى ترتدى مريلة المطبخ.. لاسيما إذا كان لايزال بيدها السكين.

والأمر جد يسير فليس شرطًا كثرة الثياب وفخامة القماش ولكن بعض الإكسسوارات الرخيصة ذات الألوان الجذابة الهادئة والتصميمات الرقيقة تفعل ما لا تفعله الثياب الوفيرة.

إن التزين فى حق المرأة مستحب ومندوب، أما إذا أحضر لها زوجها أدوات الزينة وبعض المساحيق أصبح التزين فى حقها واجبًا وتركه يوقعها فى الإثم ويلحق الذم بها ويستوجب عقابها[1].

الحقيقة والمجاز:

ولا تبخلى عليه بحلو الريق حقيقة، فإن ريقًا آخر ينتظره حلاوته قد سبق وصفها، وليس فى الإعادة إفادة والحر تكفيه الإشارة.

وحلاوة الريق مجازًا هى حلو الكلام وعذب الأساليب، والرجل لا غنى له عن الحقيقة والمجاز.

*****

(١) المفصل فى أحكام المرأة والبيت المسلم (د. عبد الكريم زيدان).

السيدة الأولى

كل امرأة ترى نفسها أجمل النساء وأعقل النساء وأمهر النساء، ولا يمنع هذا من وجود امرأة تستطيع أن تحدد مكانها بدقة وأن تنتقى دورها بمهارة وأن تعترف للأخريات بالفضل والسبق والتفوق، لكن هذا نادر غير شائع، والنادر لاحكم له.

والنبى ﷺ يقول: **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران»**[1].

لذا تذكر جيدًا أيها الرجل:

- لا تمدحن امرأة فى جمالها ولا عذوبة حديثها ولا عن تلذذك بطعامها ولو كانت أمك أو أختك أو .... أو..

- وأشعر زوجتك بأنها فعلاً السيدة الأولى.

- وعليك أن ترتقى بها فى كل المجالات، وأن تدربها على مختلف المهارات.. حتى لا يكون البون شاسعًا والفرق هائلاً.

*****

(١) رواه البخارى.

هى قطعة منك

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقد أخبر النبى ﷺ وهو يوصى الرجال بالنساء: «**إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»[1].

خلق الله آدم ثم خلق له زوجة من ضلعه، وورد فى بعض الآثار أنها «حواء» وليست العبرة بالأسماء.

وقوله تعالى: ﴿ليسكن إليها﴾ اللام لام العاقبة، أى لتكون عاقبة هذه الفكرة أن يسكن أحدهما إلى الآخر، إذ أنها قطعة منك لن تشعر أنت بالراحة طالما هى منفصلة عنك، ولن تكتمل جوارحك ومشاعرك إلا إذا عادت إليك، أنت بغيرها ناقص ومعيب ومعاق، وهى قطعة منك، وأنت الأصل وهى الفرع، وهى بدونك تفقد الحياة وتذبل، ولا حياة لها إلا بعودتها إليك ولصوقها بك.

ولا أدرى لماذا ترك كثير من الناس هذا المعنى وتمسكوا بالعوج الذى فى الضلع، وفهموا منه أن بالمرأة عوجًا لا استقامة له وأنه أمر محتوم لا فكاك منه، حتى سمعت أحد المنتسبين إلى العلم يتكلم قرابة نصف الساعة فى موضوع عوج المرأة وذكر منه عوج اللسان وعوج الأخلاق وعوج الطبع وعوج السلوك، وراح يصب على العروس المسكينة ألوانًا من

(١) رواه البخارى.

السباب فى صورة موعظة، وأخيراً أوصى الرجل (العريس) بالصبر والاحتساب وطول البال وتفويض أمره إلى الله فى هذا العوج المحتوم.. وإنا لله وإنا إليه راجعون. كل هذا فى حفل زفاف- تصور!!.

أخى الكريم: إن هذا العوج إن كان موجوداً فأنت السبب فيه، فهو ضلعك الذى خلقت منه المرأة، فما ذنبها؟ هذا بمنطق فهمك فإنى أرد عليك بعقلك.

التغافل:

أما الحقيقة فهى غير ذلك، إن هذا العوج ليس فى المرأة وحدها، ولكنه فى كل البشر، عدا الأنبياء

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

والنبى ﷺ يوصى الرجال باعتبار ما فى أيديهم من الرئاسة والقدرة على اتخاذ القرار، وإلا فكم من الرجال هو أكثر عوجًا من كل النساء لكن لاتستطيع المرأة أن تتخذ قراراً بفصله.

والإمام أحمد رضى الله عنه يقول: «تسعة أعشار حسن الخلق التغافل» باعتبار أن ما فى الناس من عوج يظهر عند التعامل، وكلما كانت العلاقة قريبة والاحتكاك مستمراً والمعاملة مستديمة كلما ظهر العوجُ وضَعْفُ السلوك وربما سوءُ الأخلاق. والتغافل عن بعض هذه الأمور مع المحاولات المستمرة للإصلاح مطلوب، «**المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم**» [حديث][1].

(١) مسند أحمد والترمذى.

ولما كانت المرأة أشد الناس لصوقًا بالرجل، كان لابد أن يظهر فيها من العيوب أكثر مما يظهر من غيـرها، كما أن الرجل يظهر منه للمرأة أكثر مما يظهر منه لغيرها.

سرُّ الحياة:

ثم أضف إلى معلوماتـك أيها الفقيه، أن هذه الأضـلاع العوجاء هى القـفص الصدرى الذى يحـوط القلوب ويصـون النفوس ويعـمل بالليل والنهار صعودًا وهبوطًا لتؤدى الرئتان وظيفتهما فى عمليتى الشهيق والزفير لتسـتمر الحياة، ولولا هذه الضلوع العوجـاء لانفطر قلبك وانقطع نَفَسُك ولخـرجت من الحـيـاة سـريعًا- هـذا بمنطق الطب والتـشـريح ووظائف الأعضاء، وأى منطق أعجبك فخذ به، ولكنى لا آخذ بمنطقك حيث أراه أشد عوجًا من الضلع الذى خلقت منه المرأة.

نفس واحدة:

إن زوجتك قطعـة منك وإساءتك إليها إسـاءة إلى نفسك، وإحسانك إلـيها إحسـان إليك، كما أن زوجك أيتـها المرأة هو أصلك ومنشؤك، وإسـاءة الفرع إلى الأصل جريمة وعقوق، وإحسان الفرع إلى الأصل مهما بلغ قليل، ولذا قال النبى ﷺ: «ولو كانت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما له عليها من فضل، لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها»[1].

*****

(١) الترمذى وابن ماجه.

الأصل فى العلاقات العموم

علاقة إنسانية:

العلاقة الزوجية علاقة خاصة، لكن أصلها العموم، فهى علاقة إنسانية أولاً ينبغى أن يحكمها كل مايحكم العلاقات الإنسانية من قواعد وأصول، مثل وحدة الأصل: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**».

ومثل قاعدة الكرامة الإنسانية: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [الإسراء: ٧٠].

وتصون العلاقات الإنسانية مجموعة من القيم مثل الحرية والعدل، فالناس فى أصل خلقتهم أحرار: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»

والأصل فى المعاملة بين الناس: العدل، لذا فإن الله ينصر المظلوم ويستجيب دعوته مع كفره بالله، ويقيم دولة العدل وإن كانت كافرة، ويهدم دولة الظلم وإن كانت مسلمة.

فالرجل والمرأة وأقصد بهما الزوج وزوجته، ينبغى أن يراعى كل منهما هذا الحق الإنسانى من الكرامة والحرية والعدل، بغض النظر عن أى اعتبار آخر.

علاقة إسلامية:

فإذا أضفنا إلى ذلك كونهما مسلمين، فإن بعدًا آخر جديدًا قد أضيف إلى المسألة، ولونًا آخر من العلاقة قد نشأ دوره تمتين وتوطيد وتعميق تلك العلاقة الإنسانية الأولى.

حق المسلم على المسلم ست: «**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا دعاك فأجبه، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[١]. وأهلك أولى بذلك.

«**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلق أخاك ببشر حسن**». وزوجك أولى بهذا.

«**من ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة**»[٢]. وامرأتك أحق الناس بهذا.

أوليست هى أقرب المسلمين إليك، وأدناهم منك، وأطولهم لك صحبة، وأدومهم لك عشرة، وأعلمهم بحالك، وأكثرهم اطلاعًا على أسرارك، وأحسنهم لك مواساة، وألصقهم بك مجلسًا، وما أفضى أحد من الناس إليك مثلما أفضت هى إليك، وما أفضيت أنت إلى أحد مثلما أفضيت إليها.

إذا اشتكت فليس فى الطب شفاؤها، ولا بالدواء برؤها، إلا إذا وضعت يدك اليمنى على موضع الألم منها ودعوت الله لها بالشفاء، وناولتها كوبًا من الماء مع حبة الدواء.. كل ذلك ولسانك يتمتم بالدعاء، وعين الرضا إليها ناظرة، واليد الأخرى تربت على الكتف.

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح مسلم.

وهى أحوج مـا تكون إلى المواساة وإلى إشعارها بالاهتـمام فى بعض الحالات الخـاصة أو الطارئة والتى قد تتكرر وقـد يندر حدوثها، كـما هو الحال فى وقت عادتها الشهرية وفـترات الحمل والنفاس أو عند موت أحد أقاربهـا أو أحبائها، لأنهـا قد تحزن لشىء لايحزنك، فـاحزن على الأقل لحزنها، ولابد من المشاركة، وقد تجزع لسبب لا تراه أنت أو لا تشعر به، فأظهر الأسى ولو تكلفًا، ولن يطول الوقت فـبين العسر واليسر شىء من الصبر، وبين الضيق والفرج قليل من الانتظار.

*****

أول لقاء فى بيتها

أتذْكُر أخى الزوج أول لقــاء لك مع زوجتك فى بيتهــا، قبل أن تكون زوجتك، وأنت أيتــها الزوجة: أتذكرين ذلك اللقــاء فى بيتك مع زوجك قبل أن يجمعكما وصف الزوجية.

تعالوا نتذاكر ســويًا ذلك اللقاء البعيد القريب الحــبيب الذى تاقت إليه النفوس طويلاً والحرمان منه حرمان من الحياة.

هو بعيــد لأنه مرت عليــه أعوام أو شهــور، وقريب لأنه محــفور فى ذاكرة كل رجل وكل امرأة، لا سبيل إلى نســيانه أو تناسيه، والحرمان منه حرمــان من الحيــاة لأن السبــيل إلى السكينة والمودة والرحــمة يبــدأ بهذا اللقاء، وهل تكون الحياة بغير هؤلاء حياة؟

ذكريات:

تذكر أيهــا الزوج أنك فى هذا اليوم حــددت موعدًا للذهاب فــيه إلى بيت العــروس، وأنك وقــفت أمام المرآة طويــلاً تنسق ملابــسك وتختــار الألوان وتضع الــعطور، وربما تكون ذهبــت فى هذا اليــوم إلــى الحــلاق خــصيــصًــا، ثم إنك وبلاشك أعددت بــعض الكلمات المــناسبــة ورتبت حــديثك بشكل جيــد. . ثم انطلقــت وأنت حريــص على أن تصل فى موعــدك المحدد بغيــر زيادة ولا نقصان. فلمــا وصلت إلى بيت عروسك استقــبلوك بحفاوة وترحــاب، وكانت هى الأخرى تنتظر وصولك بلــهفة



بالغة، وقد تزينت أيضًا واستعدت لاستقبالك، ثم دخلتْ بعد قليل وهى تحمل صينية ضخمة عليها ألوان من الطعام الخفيف والفاكهة والمشروبات، وأنكما تبادلتما الابتسامات واختلستما النظرات، ثم جرى بينكما حديث ودود ناعم رقيق لم يكن هو المقصود، وإنما كان المقصود إشاعة جو من الألفة والمرح والفرح والسرور. . والسبيل إلى ذلك كلمات منتقاة، فلما همت بالانصراف وجاءت لترفع الصينية وضعت فيها مبلغًا من المال من الأوراق الجديدة التى خرجت لتوها من دار سك النقود، وقد تكون منحتها نفحة من العطور التى عطرت بها شعرك وملابسك. . ثم انصرفتْ شاكرة وجاء الناس مهنئين.

هذا باختصار ماحدث فى تلك الليلة السعيدة وفى ذلك اللقاء البعيد، وقد نتج عنه الفرحة والسرور وحزت الرضا ونلت القبول، وحازت هى الأخرى من نفسك موقعًا، وصار لها منذ ذلك اليوم فى القلب موضعًا.

ومن هذا اللقاء الناجح نستخرج مقاييس النجاح ومعايير التوفيق التى تؤدى إلى دوام الألفة واستمرار العشرة ونماء العلاقة.

١- مواعيد محددة ومعلومة.

من الضرورى جدًا والمفيد قطعًا، أن تكون المرأة على علم بموعد عودة زوجها إلى البيت حتى تستعد لاستقباله؛ بتهيئة نفسها وإعداد بيتها، وموعد العودة قد يكون ثابتًا أو متغيرًا، فى حدود معينة، فإذا طرأ عليه تغيير بالتقديم أو بالتأخير فينبغى إخبار المرأة بالهاتف أو بغيره حتى تتمكن من ضبط أمورها بما يتلائم مع هذا التغيير.

لقد خرج النبى ﷺ إلى غزوة تبوك وعاد بعد خمسين يومًا، فلما قرب من حدود المدينة أمر الناس أن ينتظروا وينيخوا رواحلهم، ثم أرسل اثنين من الشباب العزب الذين لا أزواج لهم ليخبروا الناس بمقدم النبى ﷺ ومن معه وقال عبارة تفيض أدبًا وذوقًا ورقة وجمالاً:

«انتظروا حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثاء»[1] وهى أمور تتعلق بالنساء، أى حتى تقوم كل امرأة فتصلح من شأنها وتنفذ نظافتها الشخصية داخلاً وخارجًا، فإذا رآها زوجها بعد هذا الغياب الطويل سعد أيما سعادة.

أعلمها بموعد عودتك، واتصل تليفونيًا إذا تغير الموعد.. وإلا فكن مستعدًا لما سوف يحدث.

لا تلومن إلا نفسك:

إن ساعة انتظار يسعد بعدها الزوجان خير من استعجال يذهب معه

---

(١) البخارى.

الزوج إلى بيته فيجد امرأته وهى تفتح له البـاب قد عصبت رأسها بعصابة حمراء أو سـوداء وأمسكت فى يدها اليمنى سكين المطبخ أو فـى اليسرى جلدة مسح الحمام وقـد شمرت عن ساعديها وساقيـها، فإذا دخل البيت فربما وجد الماء والصابون مسكوبًا فى كل مكان وإذا اقترب من غرفة نومه وجدها خـاوية على أخشابها وقـد تم إخراج الوسائد والفـرش والأغطية لتأخذ قسطها من حمام الشـمس فى البلكونة، فإذا أراد دخول الحمام قيل له انتظر قليلاً لأن الحمام مشغـول وعندنا اليوم غسيل فيكتشف عندها أنه لم يدخل بيـته وإنما دخل ورشـة أو مـحل (دراى كلين). ولا تلومن إلا نفسك.



أما أنت أيتها الأخت الغالية: فكونى مستعدة لاستقبال زوجك فى الموعد المحـدد واتركى ما فى يديك عند العلم بقدومـه وقومى لاسـتـقـبـاله فـورًا وإلا فكونى مستعدة لما سوف يحدث.

والاستعداد معناه مظهر حسن وثيـاب نظيـفـة ورائحـة طيـبـة وابتـسامـة عـريضة ووجـه باش وكـــلام طيب ويـد تمتـــد للمصافحة.

تستطعين أن تجمعى بين أدائك لعملك واستعدادك لاستقبال زوجك فى أحسن هيئة ومالايدرك كله لايترك جله وبالذات إذا تكاثرت عليك الأعمال وتزاحمت الواجبات وكان لابد من أداء بعضها فى وجود الزوج أوفى وقت عودته.

ففى أمام المرآة خمس دقائق لإعادة تصفيف شعرك وتجميل وجهك، ثم اربطى رأسك بعصابة رقيقة حسنة المنظر هادئة اللون، والبسى ثوبًا نظيفًا، وضعى فوقه (مريلة) المطبخ، فإذا علمت بقدوم زوجك فما أسهل أن تنزعى رباط الرأس وأن تخلعى عنك مريلة المطبخ فتبدوين فى أحسن هيئة وفى أجمل منظر.

واعلمى أن نار الموقد يمكن إطفاؤها بإدارة الزر أو الضغط على المفتاح كما يمكن إشعالها مرة أخرى بنفس السهولة، ولكن النار التى تشتعل فى البيت لا يعلم أحد إلا الله متى تنطفئ ولا كيف يمكن إطفاؤها.



استجداء الحقوق:

وإلا فإنه لن يقول لك: لماذا أنت منكوشة؟ ولماذا ثيابك غير نظيفة؟ وأين الكحل وأين العطر وما هذه الرائحة الكريهة التى

تنبعث منك؟ هو لن يقول أى كـلمة من هذا القبيل لأن استجـداء الحقوق ثقيل على النفوس كما أن الخجل يمنع من هذا، لاسيما إذا كان فى البيت أولاد أو أمه أو والدتك أو..

ولكنه سيسأل عن طعامـه وثيابه وعن مكان نومه، فإذا وجد كل ذلك معـدًا وجاهزًا فسيسـأل عن أشياء أخـرى وستبـحث عينه عن الهـفوات والأخطاء وستنتظر أُذناه فلتات اللسان وألحان التعـبيرات لينفجر بعد ذلك فيك بلسانه أو بيده أو..

وليس السبب هو زيادة الملح فى الطعام أو سـخونة المرق أو غياب الماء من على السفرة ولا السبب هو عدم نظافة الحمام ولا الذباب المتطاير على نافذة غرفة نومه ولا .... ولا ...

عين الرضا

ولكن السبب هـو أنه لم يرضَ عن منظرك ولم تعجبـه هيئـتك عندما وقعت عينه عليك عند دخول البيت.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　　لكن عين السخط تبدى المساويا

واحـذرى أن تتلقـيـه بوابل من الأسـئلة والشـكاوى ولكن انظرى حاجته أولاً وناوليه ثيابه أو كوبًا من ماء أو أخبريه بشىء يسره أو خبر يسعده.

إنها براعة الاستهلال وحسن الاستقبال. إنها اللحظة الأولى والنظرة الأولى والانطباع الأول والإحساس الأول. هو الذى يحدد خط السير، وصحة البداية معناها صحة النهاية، وخطأ البداية لا شك يقود إلى سوء الخاتمة.

والمثل القديم يقول: (**لاقينى ولا تغدينى**) وهو صحيح.

٢- دوام التزين

حق متبادل وواجب مشترك. كان ابن عمر يقول « إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين هى لى» إن حسن المظهر وجمال المنظر يسعد النفوس ويشرح الصدور، وقد حدثنا القرآن كثيرًا عن قضية الجمال وأثره على النفس، وأختار آية واحدة ﴿**انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ**﴾ [الأنعام: ٩٩].

وماذا تجنى من النظر إلى الثمر وقد تدلى بأغصانه وقد تم نضجه؟!.

ماذا تجنى من ذلك سوى متعة النظر وراحة البصر وهدوء النفس وارتخاء الأعصاب، وهذا غذاء لا يقل قيمة عن التغذى بأكل الثمر وتقوية البدن، ثم إنك لا يمكنك أن تأكل ثمرة أبدًا إلا إذا راقتك هيئتها وأعجبك لونها وقلبتها يمنة ويسرة فإذا أعجبك ذلك كله التهمتها التهامًا وإلا فلا.

وأخبرنا النبى ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» لما ذكر أحد الناس أنه يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة[1].

---

(١) صحيح مسلم.

ونسيان أحد الزوجين لحسن مظهره بعد الزواج وإهماله التزين والتجمل بدعوى كثرة المشاغل وضيق الوقت يقلل فرص النجاح ويقلص من معدلات البهجة والسرور.

٣- الخدمة

ما من عروس إلا وحملت الصينية ووضعتها بين يدى خطيبها حتى فى الأوساط التى لا تخدم فيها المرأة غالبًا حيث يقوم الخدم والحشم والطهاة والسفرجية بهذه الأعمال حيث البنات نواعم والنساء هوانم والرجال نواكح وطواعم فى قصور مشيدة وساحات مديدة وسط جنات فيحاء وحدائق غناء وربما تكون هذه هى أول مرة وآخر مرة تحمل المرأة هناك صينية، ولكن لابد من هذا الإجراء فى هذا اليوم.

إن هذه الصورة تعبير عن استعداد المرأة لخدمة زوجها وإظهار لرغبتها فى التواضع له والنزول على رغباته والوقوف بين يديه وهو جالس، لأن هذه صورة الصغير مع الكبير وطريقة الخادم مع مخدومه والمرءوس مع رئيسه وليست هى إلا رمزًا.

وإن توفر هذا المعنى باستمرار وديمومة هذه الصورة وتلك الرغبة لمن دواعى سعادة الرجل وسروره ومن أسباب شعوره بالرضا والقناعة.

متسكعون

وقد بحثت كثيرًا من حالات المتسكعين على المقاهى والذين أصبحت تمتلأ بهم الشوارع، فوجدتهم أحد رجلين:

إما رجل مُهان فى عمله مطحون فى وظيفته يجد فى المقهى وسيلة

للتحرر من ضغط الرؤساء فيجلس عــلى المقعد القريب من حافة الرصيف المخصص لمرور جماهيـر الناس واضعًا ساقًا فوق ركبة أمام الــناس جميعًا ليعوض بذلك نقصًا رهيبًا فى حيــاته وسقوطًا مذريًا فى شخصيته، إذ ربما يكون رئيسه أحد المارة.

وأما الرجل الآخر فهو رجل افتقد الخدمــة الحانية والكلمة الشفيقة فى بيته، ووجد فــى المقهى بديلاً حيث يأتيه الجرسون مــرة ليسأله فى تواضع مصنوع وأدب وخضــوع «تشرب إيه يا باشا؟» ثم يأتى مرة أخــرى حاملاً الصينية فى خشوع ليضعها بين يدى الباشا، ولا ينسى قبل ذلك أن يمسح المنضدة بخرقة بالية يأنف السوى أن يمسح بها حذاءه.

وغالبًا ما يجتمع الرجلان فى رجل واحد فتكون البلوى العامة والمصيبة الطامة والخــيبة التامــة وربما لا يكون هذا موضوعنا وإنما أحبــبت أن أرفه عنكما، وشر البلية ما يضحك.

كونى فى الخدمة دائمًا وكن شاكرًا وفى الخدمة أيضًا.



٤ - الشكر والثناء

وما من رجل إلا ووضع فى الصينية مبلغًا من المال. حدثنى جدى أنه وضع جنيهًا، وكان الجنيه وقتها ذهبًا، وحدثنى أبى أنه وضع عشرة جنيهات ووقتها كان للجنيه غطاء من الذهب، ووالله لا أدرى كم وضعت من هذه الأوراق المطبوعة من فئة الجنيه الذى قتله البرد حيث سُرق غطاؤه منذ زمن بعيد.

وليس المقصود هو عدد الجنيهات إنما هو تعبير عن الشكر والعرفان والتقدير والرضا.

إن الاعتراف بالفضل والثناء على حسن الأداء والشكر على المعروف، كلها تشجع على الاستمرار وتضمن المزيد، ولهذا السر أرشدنا النبى ﷺ إلى مكافأة صانع المعروف فقال: «**من صنع لكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**»(١)، وقال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(٢).

إن النفس البشرية مفطورة على حب الجزاء والرغبة فى الأجر، وقد قال لنا القرآن ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

إن التكليف بالامتناع عن الطعام والشراب وفطام النفس عن تشهى النساء حتى إن الرجل ليصبح صائمًا يغض بصره عن امرأته كما يغضه

(١، ٢) سنن أبى داود.

عن الأجنبيــة خشية الوقــوع فى الشهوة. إنه لأمــر شاق، لكن إذا علمنا جــزاء ذلك ومردوده؛ وهو أن نرتفــع إلى درجة المتــقــين؛ هان التكليف وسهل التنفيذ وأقبلت النفس على العمل بغبطة وسرور.

إن الأنصار قد بايعوا النبى ﷺ عــلى أن يفدوه بأموالهم وأرواحهم.. ثم سألوه ﷺ «مالنا إن نحن فعلنا ذلك» قال: «لكم الجنة».

فما من نفس إلا وهى تبحث عن الأجــر ولو كان كلمة شكر، وتنتظر المردود ولو كان نظرة حانية أو دعوة راضية أو بسمة صافية.

فقدم مع كل معروف شكراً ومع كل خدمة أجراً ومع كل بر مكافأة.

٥- المحاورة الهادئة

والمقــصود بهــا التــحدث فى الأمــور التى تسـتطيع أن تتناولهــا مع امرأتك بســهولة والتى لا يضر اختــلاف وجهات النظر فيهــا حتى ولو كان الحديث تافهًا وأطلقنا عليه اسم «اللغو» فإنه فى هذه الحالة مطلوب لإدخال السرور وإشاعــة جو البهجة والسعــادة، وقد نبه النبى ﷺ إلى هذا بقوله: «**كل لهو لهــا به المؤمن باطل إلا ثلاث: رميه عن قوســه وتأديبه فرســه ومداعــبتــه أهله**»(١)، فانظر إلى قوله «لهــو» وقوله «باطل» لكنه يستــثنى منه ما أدخل الســرور على البيت وأزاح الجــمود عن العــلاقة وأذاب الجليــد من الطريق وســاعد على تخــفيــف التوتر وقــضى على التذمر.

---

(١) سنن سعيد بن منصور.

حوار جاد:

هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن الحديث الجاد سيفرض نفسه وسيأتى دوره، وسنحتاج إلى أن نتناقش فى فرش البيت ومدارس الأولاد وملابس العيد وكسوة الصيف وملابس الشتاء ومجاملة الأصدقاء فى مختلف المناسبات، وسنتحاور حول مصروف البيت وميزانية المعيشة وهى محاورات تحتاج إلى مرونة من الطرفين وأن يجتهد الطرفان فيها ليخرجا من الحوار بقلب صافٍ وقرار صائب. . ولن يحدث هذا إلا إذا اجتهد الرجل فى إكرام امرأته وإرضائها واجتهدت المرأة فى النزول على رغبة زوجها.

أما الحوارات والمناقشات التى تتناول مسائل متخصصة ليس لأحد الطرفين فيها باع فإنها مهدرة للوقت ومفوتة للأنس ومسببة للنزاع واجتنابها واجب، والرجل الذكى يستطيع أن يحدد الأمور التى تتقن زوجته الحديث فيها، فيثيرها، وما لا تحسنه فيتجنبه، والمرأة الذكية كذلك، والتوفيق من الله.

إذا رغبت فى الحديث مع امرأتك فيما يتعلق بكما أو ببيتكما أو غيركما، فاقترب جدًا منها والتصق بها وتحدثا بصوت هادئ حتى ولو لم يكن بالبيت أحد أو بالغرفة غيركما. إن قرب الأجساد ودفء الأنفاس وهمس الأصوات مع اختلاس النظرات إلى العيون هو الطريق المضمون إلى حوار هادئ وفعال ومنتج بعيدًا عن الانفعال والرغبة فى الانتصار للنفس، كيف وقد صارت النفسان نفسًا واحدة.

*****

أول لقاء في بيتك

دخلت أنت وزوجتك وأغلقتما الباب وانصرف الجميع وهم يعلمون ماذا أنتما فاعلان وهم سعداء بهذا والكل يتمنى لكما التوفيق.

مجنون؟

ولو أن رجلاً بعد ما أغلق باب بيته أخذ امرأته من يدها وقال: تعالى معى إلى المطبخ لأتأكد من مهارتك فى عمل (المحشى) أو قدرتك على تقشير البطاطس وتحميرها، أو أعطاها قطعة قماش شديدة الاتساخ وقال لها أحب أن أرى مهارتك فى غسيل الملابس وتنظيفها، أو اختبرها فى تشغيل المكنسة الكهربائية أو غيرها من الأجهزة والأدوات فى منزلها.. لو أن رجلاً فعل شيئًا من هذا لاتهمه الناس بالجنون وهم فعلاً صادقون، ولكان أول من يتهمه بذلك زوجته الحنون.

معقول!!

ولكن التصرف الطبيعى والعاقل والمتوقع من الجميع: أن يتعانقا بمجرد إغلاق الباب، وقد يبكيان، أو يبكى أحدهما لشدة فرحته، فقد انتظر هذه اللحظة وترقبها منذ شهور أو سنين وها هو قد بلغ مناه وتحقق له مبتغاه.

ثم يصحبها إلى غرفة نومهما بعد صلاة ركعتين يحمدان الله فيهما على نعمة الجمع بينهما، ويسألانه التوفيق فيما يُستقبل من الأعمال، ثم يداعبها وتداعبه ويقبلها وتقبله، ثم يباشرها ويجامعها، ويحرص كل منهما أن ينجح بنسبة مائة فى المائة.. وهذا تصرف العقلاء.

أول سؤال:

فإذا التقت الأم بابنتها صـبيحة هذه الليلة وإذا التقى الأب بابنه زائرًا، فإن أول سؤال يوجه إلى العـروس المرأة وأول سؤال يوجه إلى الرجل عن إتمام هذه العملية، فإذا اطمـأنت أسرة الزوج وأسرة الزوجة أن هذا قد تم بنجـاح سعـد الجمـيع وفرحـوا وتوقعـوا المزيد من الوصال، وإذا كـانت الأخرى لا قدر الله حل الهم والغم وأصبحت العلاقة مهددة بالانفصال.

معيار النجاح:

إن هذا المقياس ليس مـقياس ليلة واحدة يسمـونها ليلة الزفاف أو ليلة العمر، ولا هو مقياس شهر واحد يســمونه شهر العسل، وإنما هو مقياس جميع الأيام والليالى والشهور والحياة الزوجية.. إنه مقياس العمر.

كلما كان الزوجـان حريصين على إتمام جماعهـما فى كل مرة يرغب فيها أحدهمـا أو كلاهما، وكلما كانا حريصين على النجـاح والتفوق فيه كلما كانت حياتهما أسعد وسعادتهما أرحب.

وكلمـا أهملا هذه المبـاشرة وتلك الملامـسة ولم يحـرصا على أدائـها بالشكل الجيد ولم يجـتهد كل واحد منهما فى أداء حق صـاحبه قبل حق نفسه، كلما كانت الحياة كئيبة والعلاقة متوترة ومهددة بالانقطاع.

لست خادمة:

أيها الزوج النبيل وأيتها المرأة الكريمة:

إن الرجل يستطيع أن يأتى بخـادمة تغسل له ثيابه مقـابل أجر زهيد أو بطاهٍ يعد له طعامه أو يرفع سماعة التليـفون ليأتيه طعام ساخن يخرج من

الفـرن على باب البـيت (Home delivery) كـما يسـتطيع أن يأتى بمن ينظف له بيـته ويؤدى له كل الأعمـال المنزلية التى تسـتغرق المرأة أحـيانًا مقابل جنيهات قليلة وكل الأعمال المنزلية التى تؤديها المرأة يستطيع غيرها أن يؤديها من باب المساعدة أو الكراء.

لكن مهمة الزوجة فى استمتاع زوجها بها وإمتاعها لا يمكن أن يؤديها غيرها ولو بمال الدنيا جميعًا.

سيدتى: أنت زوجة لرجل ولست خادمة فى منزل وإن كنت تخدمين.

أنت زوجة لرجل ولست مـرضعة أو مـربية أطفـال وإن كنت تحملين وتلدين وترضعين وتربين.

سيدتى: احـذرى سوء الترتيب، فإن التـرتيب فى كثير مـن العبادات فريضة وواجب.

أولى أولوياتك: زوجك وما يتعلق به مبـاشرة، ثم تأتى الأمومة، ثم الخدمة وتدريس الأولاد.. وهلم جرا.

سيـدتى: لا تستكثرى أى وقت تـقضينه فى إسـعاد زوجك ولو أدى ذلك إلى تفـويت بعض المصالح الأخـرى وسوف تتعلمـين بمرور الوقت وبذل الجـهد وبالتـعلم. سـوف تتعلمين كـيف تنظمـين وقتك وتحـددين أولوياتك حتى لا تتداخل ولا تتعارض.

المهم أن يكون عندك الرغبة.

*****

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

[البقرة:٢٢٨]

ليس لأحد من البشر حق مطلق فى هذه الحياة، إنما كل حق يقابله واجب، والقوامة توجب على الرجل أن يكون أوسع صدرًا وأرحب فكرًا وألين فؤادا - فلا يعجل فى حقه وإنما يعجل فى أداء واجبه، ولعل هذا هو السبب فى البدء بحقهن «ولهن» وتأخير حقه «عليهن».

أنت تبدى رأيك فى ثيابها، فتقول هذا يعجبنى وذاك لا يرضينى ولون هذه لا يناسب لون تلك وهكذا - وتبدى رأيك فى تصفيف شعرها وفى جلستها ومشيتها، وهذا حقك.. من غير إفراط ولا تفريط.

وهى تبدى رأيها كذلك فتقول لك: لون القميص غير مقبول أو غير مناسب لهذا البنطلون أو ذوق هذا الثوب غير مستساغ أو شعرك أصبح طويلاً وأنت فى حاجة إلى الحلاقة أو أن هذه الحلاقة لا تناسب وجهك أو سنك أو ... أو ... وهذه كلها توقعات وأمثلة.

أنت تلبس من أجلها وهى تلبس من أجلك، أنت تستمتع برؤيتها وهى تستمتع برؤيتك، أنت تتزين لها وهى تتزين لك.

أعطها الفرصة لكى تنتقى لك بعض ثيابك وأن تقترح عليك بعض الأزياء أو كما يسمرنها (الموديلات) حيث إنك لاشك تصنع ذلك بالنسبة لها.

أنت لك أهل وأقـارب وأرحام وهى لهـا أهل وأقارب وأرحـام. أنت تحب إكرام أسرتك وإعظام والديك وتـرغب أن تشاركك زوجتك فى هذا كله - وهى كذلك تحب إكرام أسرتها وإعظام والديهـا وتفرح كثيرًا عندما تشاركها كزوج فى هذا كله.

ارفع سمـاعة التلـيفون واتصل بـوالدها أو والدتها أو أخـيها لـلسلام والاطمـئنان، وعندما تعـود إلى المنزل أخبـرها بذلك وانقل لهـا التحـية والسلام.

انتهز أى فرصة للثناء والدعاء لمن تحـبه زوجتك من أسرتها أكثر وترى أنت أنها أشد تعلقًا به.

اغتنم فرصة أخرى للسعى فى حاجة أو تقديم هدية أو تهنئة بنجاح أو زواج أو رجوع من سفر أو أداء حج أو عمرة.

إذا علمت أن ســوء تفـاهم أو بوادر خلاف قـد حـدثت فليكن دورك الإصلاح والتهدئة وتقليل مسافـة الخلاف وتقريب وجهات النظر، فإذا لم تستطع فـإياك أن تتورط فى التصـعيد والتـجريح وتوسيع الهـوة وتأصيل الخلاف ولا تكن حكمًا بين زوجتك وأحد من أسرتها.

وقس على ذلك كل الحـقوق والواجـبات والهـموم والاهـتمامـات، وأعلمها أن لها دائمًا مثل الذى عليها.. وأنك أنت القائد والمدير.

*****

الحواس الخمس

السمع والبصر والتذوق واللمس والشم

ولو قيل: الحواس خمس، لكان معناه حصر الحواس فى هذه الخمس، ويقتضى ذلك أنه لا زيادة عليهن. ولكن قولنا: الحواس الخمس معناه أنهن يقبلن الزيادة وأنهن أكثر من ذلك، فإن الناس يصفون من عنده قدرة على استشراف المستقبل ورؤية مالا يراه الآخرون ببصيرة نافذة وفكر ثاقب؛ يصفونه بأنه صاحب حاسة سادسة، وأنا أقول إن هناك حواس أخرى كثيرة أنعم الله بها على الإنسان، غير أن كثيرًا من الناس قد لا يشعر بها، فاللذة التى يشعر بها الرجل والمرأة عند المباشرة حاسة سابعة، والاستمتاع الفكرى والذهنى بلذيذ الآراء وحلو المنطق حاسة ثامنة، كما أن الغيرة والاهتمام يثيران حاسة تاسعة، وهلم جرا.

ويستطيع الرجل والمرأة أن يستمتعا بهذه الحواس جميعًا إذا ما أحسنا الاستفادة بالوقت والجهد ورتبا أمورهما واستثمرا إمكاناتهما فسعد كل منهما بالآخر وإن ضاق الوقت، ومهما طال العمر، والرجل الذكى يستطيع أن يمتع ويسعد امرأته وإن كان فقيرًا أو مريضًا، والمرأة الذكية كذلك.

١- حاسة السمع:

الصوت الناعم الرقيق يثير الرجل ويجعله أكثر قربًا وأحرص على الدنو من زوجته، لذا نهى القرآن عن الخضوع بالقول فى حضرة الرجال الأجانب ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾

[الأحزاب: ٣٢] إذ أن أصحاب القلوب المريضة والنفوس الضعيفة يتلذذون بالاستماع إلى الصوت الرقيق الخاضع، وقد لا يتوقفون عند حد التلذذ بالاستماع فيحاولون زيادة عدد الحواس المستخدمة فى الاستمتاع، وأول الغيث قطرة، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

وكما أن السمع يتلذذ بالصوت الناعم الرقيق ولو كان الموضوع جادًا والكلمات متعلقة بأمر بعيد عن الزوجية والمعاشرة والحب كأن تكون المتحدثة محاضرة فى جامعة أو معلمة فى مدرسة أو بائعة فى متجر. فإن الاستمتاع يزداد إذا كان الكلام يصف الوجدان ويعبر عن المشاعر.

وإذا كان الرجل يستمتع بصوت المرأة الرقيق الناعم فإن المرأة تستمتع بصوت الرجل الرخيم الهادئ الذى يعبر عن فحولة ويفصح عن رجولة وهذا طبعًا بالنسبة للأسوياء.

وعليه فإنك مطالب أيها الرجل أن تسعد زوجتك بكلمات الحب والهيام، فلا يكاد يمر يوم من غير أن تذكر لها حبك وإعزازك، بالإضافة إلى الثناء عليها والشكر والدعاء لها، ولا تنس أن تغازلها وتصف حسن خلقتها وبهاء طلعتها وأنسك برؤيتها.

وأنت أيتها الزوجة أخفضى صوتك عند زوجك، فإن ذلك يسعده ويرضيه، ولا أظن أن رجلاً يسره إذا وجد أن صوت محدثته صوت رجل.

ليّنى له الكلام ورققيه وأخبريه أنك تحبينه وتشتاقين إليه.

ولا تنسى أيتها المرأة، الغناء، فإنه يحبب الزوجة إلى زوجها، وقد سبق أن أخبرتك أن نساء الجنة يغنين لأزواجهن.. فاستعدى لذلك من الآن.

ولا أحسب أن المرأة غنيـة عن أن يغنى لها زوجهـا ولا سيمـا إذا كان حسن الصوت جيد الأداء.

ومالا يدرك كله لا يترك جله.. وهذا مجرد رأى.

٢- حاسة البصر:

من أهم وأخطر الحـواس فى الإنسان، لذا أمـر القرآن بغض الأبـصار ﴿**قُل لِّلْمُـؤْمِنِينَ يَغُـضُّـوا مِنْ أَبْصَـارِهِمْ**﴾ [النور: ١٠]، ﴿**وَقُل لِّلْمُـؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١]. والشاعر يقول:

ألم تر أن العينين للقلب رائد   فما ألفت العينان فالقلب آلف

ولذا أمـر النبـى ﷺ الراغبَ فى الزواج أن ينظر إلى المـرأة التى يريد نكاحها وقال موصيًا: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[١].

وأوصى بالنظر إلى العـينين خصوصًـا، فقال لـرجل خطب امرأة من الأنصار: «**انظر إليـها فـإن فى أعين الأنصـار شيـئًا**»[٢] وما بأعـين الأنصار سوى الذى فى أعين الـناس من جفنين ومقلتين وبيـاض وسواد وحاجب وأشفار.

لكنها التـورية التى كان يجـيدها النبى ﷺ فى مـواقف الجد أو المزاح البرىء الصادق، فقد قال لإحدى النساء: «**زوجك الذى بعينه بياض**» فلما كادت تحزن لذلك، أخبرها زوجهـا بمقصد النبى ﷺ وهو أن ما من أحد إلا وبعينه بياض، وهنا أيضًا ما من أحد إلا وبعينه شىء، بل أشياء.

---

(١) الترمذى.

(٢) مسلم.

لغة العيون:

لقد أراد النبى ﷺ أن ينظر الرجل إلى عين المرأة، وأن يدقق النظر، لأن هذه النظرة وتلك الرؤية ستحدد له موقف الفتاة من الرفض أو القبول.

فإن للعيون لغة هى أفصح من لغة الكلام.

والعين تعرف من عينى محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

والعين إذا رضيت رضى الفؤاد وهدأت النفس، وإذا سخطت العين سخط القلب وغضب وربما ثارت بعده كل جارحة.

أول لقاء كان نظرة إلى الوجه، فلما حدث الارتياح والقبول أتممنا المشوار ورجونا الدوام، ولو كانت حدثت وحشة ونفور لتباعدنا وما التقينا، وخيرها فى غيرها، كما أن خيره فى غيره، والرجال سواه كثيرون، والنساء سواها أكثر.

أسعدى بصر زوجك؛ بدوام التبسم وحسن المظهر من زينة الوجه وهندام الثياب وترتيب الفراش وتأنيق الأثاث مهما كان بسيطًا أو قديمًا، فإن الجمال ليس فى فاخر الثياب ولا الغالى من الفرُش والبُسُط، وإنما الجمال لمسة يضفيها راغب أو لقطة ينتبه إليها صاحب ذوقٍ عالٍ.

ولا تنس أيها الرجل أن لزوجتك عينين وأنها يعجبها منك ما يعجبك منها. وعلى كل من الرجل والمرأة أن يهتما بانتقاء الألوان واختيار (الديكورات) التى يتفقان عليها فى الجدران والستائر والأرضيات والمفروشات، وكلما اتفقت العيون على شىء كلما سعدت به الأفئدة، إذ ينتقل الرضا إليها كلما وقعت العيون عليه.

٣- حاسة التذوق:

وموضعها من الإنسان اللسان، وتشترك معه الشفتان، ظاهرًا وباطنًا، ويستطيع كل من الزوجين أن يوظف هذه الحاسة عند الطرف الآخر؛ بأن يقدم له ثمرة من الفاكهة وبالذات إذا خصت بها زوجها فى غرفة نومه، أو ناولها قطعة حلوى جيدة الصنع غنية الخامات، وعلماء وظائف الأعضاء يقولون إن من أكثر الأشياء إثارة للرجل والمرأة ومن العوامل التى تحفزهما على الاقتراب من بعضهما إثارة حاسة التذوق؛ بتناول المرغوب والمحبوب والمستطاب من الطعام والشراب.

ثم يتعدى الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

فيرتشف ريقها ويلتذ برحيقها، وتمنحه ذلك بالرضا والسرور، وقد كان النبى ﷺ يقبل عائشة فيمص لسانها ويقول «**إن أطيب الريق ريق عائشة**»[1].

ولا أحسب أحدًا استطاع أن يستمتع بنسائه كما استمتع النبى ﷺ، ولا أن نساءً استمتعن بأزواجهن مثلما استمتع أزواج النبى ﷺ، وهذا من كماله ﷺ ومن توفيق الله له، فقد بلغ الكمال فى كل شىء وحصّل الإحسان فى جميع أموره ﷺ.

وهو القائل ﷺ «**حُبِّب إلىّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة**»[2].

والنساء هن أزواجه ﷺ.

---

(١) مسند أحمد.

(٢) سنن النسائى.

٤- حاسة اللمس:

خلق الله الرجل والمرأة وأعطى كلاً منهما خصائص تروق الآخر وتعجبه، فالرجل يحب المرأة ناعمة كالحرير ملساء كالفراشة.

والمرأة تحب الرجل خشنًا فى غير حدة، قويًا فى غير قسوة.

والمرأة يسعدها كثيرًا لمسة حانية من الرجل فى أى موضع من جسدها، وكلما ازدادت مساحات التماس كلما كان أسعد لهما ويبلغا ذروة السعادة إذا ضم كل منهما صاحبه.

لذا حرص الإسلام على التنظف والاغتسال وقص الأظفار وتهذيب الشعر وتصفيفه.

وقد قال النبى ﷺ للعائدين من الغزو والجهاد الذين اشتاقوا إلى نسائهم واشتاقت نساؤهم إليهم: «**انتظروا حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثاء**»[(١)].

أى حتى تستعد النساء لأزواجهن؛ بإزالة الشعر الزائد من مواضعه ويقمن بغسل شعورهن وتصفيفها.

أرأيت إلى حرص النبى ﷺ على إسعاد أصحابه وإكرام صحابياته.

٥- حاسة الشم:

نعمة كبرى وميزة عظمى وهى فى بعض المخلوقات أقوى من حاسة البصر والاعتماد عليها أولى، فبها تعرف كثير من المخلوقات مواضع الطعام ومخابئ الفرائس ومكامن الأخطار، وإن كانت فى الإنسان ليست بنفس القوة، ولكن على نفس الدرجة من الأهمية.

---

(١) رواه البخارى.

فإن الحيوانات لا تستطيع أن تعيش بغير حاسة الشم، وكذلك الإنسان لاتهنأ له حياة بغير أنف يشم.

إن الذين فقدوا حاسة الشم لمرض أصابهم فى العصب الأول أو غيره، يقولــون إنهم لا يجدون للطعــام طعمًــا مهمــا أضيف إليــه من توابل أو طعوم، ومهمــا تفنن الطهاة فى تحسين مذاقه، ويقــولون أيضًا إنهم فقدوا الاستمتــاع بأزواجهن لما فقدوا حاسة الشم وإن كــانت المباشرة تتم بشكل منتظم. وقد اكــتشف العلمــاء أن اللذة النهائية التى يــجدها الآكلون هى مزيج من أثر الذوق والشم وأن مساهمــة حاسة الشم فى إيجاد هذه اللذة أعلى وأقوى من مساهمة التذوق.

كفيف محب:

وقد سألت كفيفًا: كيف أحــببت زوجتك وكيف تجد فى نفسك الرغبة فيــها - قال أعــرف رائحتها وأشــمها، قلت: وإن اخــتلفت العطور التى تستعملها أو تتشابه معها غيرها فى اســتعمالها قال: أشم رائحتها وأعرفها وليس الأمــر فى العطــور ثم أردف: يبــدو أن لكل إنســان رائحــة مميــزة كملامح الوجوه وبصمات الأصابع والأصوات..

قلت: كيف؟

قــال: أرأيت لو أن امرأة زينت وجــهها بكل ألوان الزينة أكــان ذلك مغيرًا شيئًا من معالمها؟

قلت: لا.

قال: كذلك العطر المصنوع لا يمحو الشذا المطبوع.

وسبحان الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.

ومالا تعرفين:

لذا قال النبى ﷺ: **«أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فيوجد ريحها فهى زانية»**[1].

ذلك أن عطرها الفواح وشذاها المتطاير أثار فيهم رغبة الالتقاء وحب الملامسة.

لذا وجب عليك أيها الزوجة أن تنتبهى إلى أنف زوجك فقد قالت امرأة صالحة لابنتها تنصحها ليلة زفافها:

«فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشمن منك إلا أطيب ريح، واعلمى أن الماء أطيب الطيب الموجود وأن الكحل أحسن الحسن المفقود» والمسألة ليست عطوراً فرنسية ولا روائح شرقية وإنما هو الماء الذى يزيل كل كريه والأمر هين ويسير.

ثم إياك أن تظنى أن أنف الرجل لا تشم إلا وجهك، فإن أنفه قد يصل إلى أى مكان منك بدءًا بمنابت الشعر وانتهاءً بأظافر القدمين ومرورًا بكل ما تعرفين ومالا تعرفين.

لقد أمر النبى ﷺ المرأة بعدما اغتسلت من المحيض أن تأخذ (فرصة ممسكة)[2] أى قطعة قطن مبللة بالمسك وهو من أجود أنواع الطيب فتمرره على المواضع التى كان الدم يبلغها وما أحسب النبى ﷺ أوصى بهذا إلا تحسبًا لأن تصل أنف الزوج إلى هذا الموضع.

---

(١) سنن الدارمى.

(٢) البخارى.

أين المحاذير؟!

وليس فى الاستمتاع محاذير ولا موانع، إلا ما حذر الشرع منه أو منعه بنص صريح صحيح، وما سوى ذلك أذواق ومواجيد وأعراف، تختلف باختلاف النفوس والبيئات والمجتمعات والظروف، وكلها لا تحكم على الإسلام الذى جاء ليصلح كل النفوس ويهذب كل البيئات وينظم جميع المجتمعات ويراعى كل الظروف.

ومما يؤكد ذلك ويوضحه ما روى أن رجال قريش كانوا يشرحون النساء تشريحًا يعنى يأتون نساءهم فى أوضاع كثيرة ومتنوعة، وكان الأنصار لا يأتون نساءهم إلا على جنب، فتزوج رجلٌ من المهاجرين امرأة من الأنصار فأراد أن يصنع معها ذلك فأبت وامتنعت فنزل القرآن ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾[1] [البقرة: ٢٢٣] ومعناه أن الله خلق المرأة وهيأها ليستمتع الرجل بها كيف شاء ولكن فطنة الرجل وذكاؤه وصبره وأداؤه لبعض المقدمات يجعله يصل إلى ما يريد من زوجته وإلا تحول الاستمتاع الكريم إلى اغتصاب مهين..

٦- الاستمتاع الفكرى والذهنى

تُرى: كيف تُشبع عجوزٌ رجلاً بل إنه لا يشبع منها.

لابد أن هناك لونًا من الجمال الأخاذ يأخذه وأن سحرًا خاصًا يتناوشه، فلنستمع إلى عائشة وهى تسائل النبى ﷺ ذات مرة: أين كنت منذ اليوم؟ قال: كنت عند أم سلمة؟![2].

(١) سنن أبى داود.

(٢) (الرسول - سعيد حوى).

قالت: أما تشبع من أم سلمة؟!

فما الذى أعجب النبى فى أم سلمة؟!

إن أم سلمة من المهاجرات الأوائل، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم هاجرت بعده ولحقت به فى المدينة المنورة، ولما توفى زوجها وانقضت عدتها خطبها النبى ﷺ فلنستمع إلى الحكمة وهى تتسلسل على لسانها تقول:

فى الخطبة:

فلما خطبنى رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله ما بى ألا تكون بك الرغبة، وإنى امرأة كبيرة السن وذات عيال وفىَّ غيرة شديدة وأخشى أن ترى منى شيئًا يعذبنى الله به».

فقال لها ﷺ:

أما ما ذكرت من السن فقد بلغنى الذى بلغكِ

وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى

وأما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنك[1].

إنها تحب أن تكون مرغوبة محبوبة وليس زواجها شفقة عليها أو رأفة بحالها وحال عيالها، ثم هى تنبه إلى ما عساه أن يكون غائبًا عن النبى ﷺ وتخشى مع ذلك ألا تحسن صحبة النبى ﷺ كزوجة فيعذبها الله لذلك.

فى الحديبية:

استشارها النبى ﷺ فى صلح الحديبية لما أمر أصحابه أن ينحروا

---

(١) مسند أحمد.

هديهم ويحلقوا رؤوسهم ويتحللوا من عـمرتهم ليعودوا إلى المدينة، وقد كانوا مشتاقين إلى العمرة متلهـفين لدخول المسجد الحرام فأصابهم وجوم أغلق عليهم منافذ أسماعهم. . فلم يقوموا.

فدخل النبى ﷺ على أم سلمة واستشارها.

قالت مطمئنة للنبى ﷺ وملتمسة لهم العذر: «اعذرهم يا رسول الله، قد نزل بهم مـالا يطيقـون ولكن اخرج فاحلق رأسـك وانحر هديك ولا تكلم أحدًا منهم فإنهم إن رأوك فعلت ذلك فعلوا».

فـخرج النبـى ﷺ فحلق رأســه ونحـر هديه ولم يكلم أحـدًا منهم، فقاموا يحلقون رؤوسهم وينحـرون هديهم يكاد يقتل بعضهم بعضًا[1]. . إشارة إلى الانفعال الشديد والغضب.

أسئلتها:

وما أدرى أى الأمرين كان عندها أحكم وأعظم، سؤالها أم جوابها؟! فقد سألت النبى ﷺ «يـذكر الله الرجال ولا يذكـر النساء»[2] فنزلت بضع آيات تُذكر فى كتب علوم القرآن تحت عنوان «تعدّد النازل والسبب واحد»[3].

نعم كان السبب واحدًا وهو سؤال أم سلـمة، لكن لما كان المسئول عنه أمرًا عظيمًا نزلت أجوبة عديدة.

١ - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

---

(١) البخارى فى صحيحه. (٢) الترمذى.

(٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى.

٢- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٧].

٣- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وسألت النبى ﷺ: المرأة يموت زوجها ثم تتزوج بغيره فيدخلون الجنة جميعًا فمع من تكون، فيقول لها ﷺ **«تكون مع أحسنهما خلقًا يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»**[1].

هكذا كانت أم سلمة مع النبى ﷺ حصيفة الرأى سديدة الفكر ملئت حكمه وامتلأت فقهًا، سألت فأفادت وعلَّمت، وأجابت فأرشدت وأحكمت، واستشيرت فكانت نعم المشيرة.

أيتها الأخت الغالية والزوجة الكريمة: إنه ليس أخطف للب الرجل من حديث حلو ولسان مستقيم وفكر ناضج وسؤال حسن وجواب مفيد.

تعلمى حسن السؤال وحسن الجواب، فإن حسن السؤال نصف العلم وفكرى بعمق قبل أن تتكلمى، ولا تسألى عما لا يعنيك فقد تسمعين مالا يرضيك، ولا يسألنك زوجك عن المشرق فتجيبين عن المغرب، وليكن كلامك متصلاً ومرتبطًا ومفيداً.

وأنت أيها الرجل: إن زوجتك أشد احتياجًا إلى إمتاع فكرى وذهنى؛ بنصيحة فى السر وتنبيه بإشفاق وتعليم بإحسان وأمر بمعروف.

---

(١) معجم الأوسط.

..والخلاصة

إن الكمال لله والعصمة للأنبياء، والبشر خطاءون، لكن الذين يتوبون أى يرجعون خير من غيرهم.

والتوبة ليست محصورة فى الرجوع عن المعاصى، وإنما هى الرجوع عن كل خطأ أو تقصير، واستدراك كل نقص، مهما كان صغيرًا وغير ملحوظ، أو كان الذى أخطأنا فى حقه لا يعبأ أو لا يبالى

إن إدراك الكمال فى أى بند من البنود السابقة أمر محال، فضلاً عن إدراك الكمال فيها جميعًا.

اعرف نفسك:

لقد كان عمر رضى الله عنه يقول «اللهم عرفنى نفسى».

فإذا عرف الرجل نفسه وعرفت المرأة نفسها، فاهتم كلٌ بقدراته وإمكاناته، فأبرزها ليعوض نقاط الضعف ومجالات التقصير، كانت المحصلة رائعة وممتازة.

فالمرأة التى لم توهب قسطًا من الجمال الخِلقى تستطيع أن تهتم بالتزين وأن تبرز معالم أنوثتها، مع رقة الكلمات وعذوبة الحديث، والمسارعة إلى الخدمة.

والرجل الغضوب السريع الانفعال والذى قد تكثر فلتاته وعثراته يستطيع أن يغدق العطاء ويوسع النفقة وينتهز فرصة الصفاء ليلين الكلام ويضمنه الاعتذار تلميحًا وتصريحًا.

المهم أن يكون عندنا رغبة حقيقية فى الألفة والوئام وأن يحدونا الصدق لتنمية الحب وزيادة الأداء

والله من وراء القصد

من الحياة

إن المرأة التى تنجح كزوجة تنجح بعد ذلك أمًا، ثم تسابق الأنبياء عند دخول الجنة **«أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة امرأة ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا فهذا»**(١).

نار البيت ولا جنة برة



تقول: نشأت فى ضاحية فقيرة ليست بالقرية ولا هى بالمدينة، وكانت أسرتنا سعيدة: أبى يعمل خبازًا فى مصنع حلويات وأمى ربة البيت، وأنا وإخوتى الصبية نذهب إلى المدارس الابتدائية. أعمارنا قريبة ولا يستطيع أحد أن يرتب أعمارنا إلا الأقارب المقربون. أنا أحب أمى وأعمل معها فى البيت وإخوتى فى وقت الإجازة الصيفية وأيام العطلات يذهبون إلى محل الحلوانى الذى يعمل فيه أبى.

---

(١) أبو داود.

وصاحب المحل -مجاملة لأبى وحبًا فيه- يسند إليهم بعض الأعمال البسيطة من كنس المحل وتنظيف فترينات العرض وغيره ويعطيهم قروشًا قليلة، فالأمر بالنسبة لهم ليس عملاً وإنما هو نوع من التسالى وقضاء الوقت فى النافع المفيد، ثم هو إرضاء لوالدى من ناحية أخرى.

أمى وأبى كان يحب بعضهم بعضًا، نرى ذلك فى نظراتهما وكلامهما وطريقة تعاملهما، ونحن أيضًا نشأنا يحب بعضنا بعضًا وكأن بذرة الحب التى زرعها أبى وأمى أثمرت حبًا ملأ بيتنا.

لم تدم سعادتنا طويلاً، فقد مرض أبى مرضًا مفاجئًا ولم تدم أيام الأطباء والدواء كثيرًا، وما هى إلا بضعة عشر يومًا حتى مات أبى.. وواريناه التراب.

ظل صاحب المصنع يرسل إلى أمى مبلغًا من المال لمدة ليست طويلة، ومع مرور الأيام ألجأتنا الحاجة إلى المال، وفكرت أمى كثيرًا وعُرِضت عليها بعض الأعمال التى تدر عليها دخلاً يسيرًا يقضى حوائجنا بالكاد، لكنها كانت كلما التحقت بعمل لا تستمر فيه أكثر من أسبوع أو عشرة أيام ثم تتركه باكية وتقول: هذا الأجر لا يساوى خروجى من بيتى!! ثم تدفعها الحاجة مرة أخرى فتخرج.. وتكرر الأمر عدة مرات.

وذات يوم زارتنا امرأة فاضلة من الأقارب البعيدين ربما من الدرجة الثالثة أو الرابعة، فسألتها عن الأشياء التى تجيد عملها أو إن كانت تحسن صنعة أو حرفة فكانت كل الإجابات: لا.

ثم كان السؤال الأخير: «مش بتعرفى تخبزى وعندك فرن؟!».

قالت: نعم.

قالت: «إذن تخبزى للناس بالأجر».

وكانت.. وحدِّث ولا حرج عن المشقة التى لقيتها أمى ولاقيناها، فقد تحول البيت إلى قطعة من جهنم، نار ودخان ورماد وغبار.

كل ذلك وأمى تقول: نار البيت ولا جنة برة.

طالت بنا الأيام وانتقلنا من الابتدائية إلى الإعدادية إلى الثانوية إلى الجامعة، وكان إخوتى فى أيام الإجازات الصيفية يختلفون إلى بعض الأعمال الحرفية أو التجارية، كل صيف عمل جديد وشغل آخر غير الصيف الماضى.

ولم تتوقف أمى عن مهنة الخباز إلا عندما تخرج أكبر إخوتى من الجامعة، وكان ذلك بناءً على طلبه وبعد إلحاح شديد ومستمر.

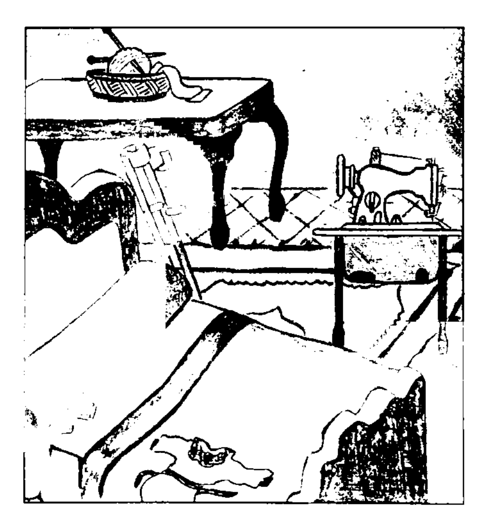
وسارت الأيام بعدها سريعًا، وتبدل الحال، وأقبلت الدنيا، وكثر المال فى أيدينا واقتنينا السيارات وافترشنا البيوت.. وماتت أمى.

ولازلت أذكر نظرتها إلى أبى ونظرة أبى إليها، وبشاشة وجه أمى وتبسمها عندما تسمع صوت أبى وإسراعها إلى الباب لكى تتلقاه، لقد كانت صورة مشرقة وضيئة، لا ينبغى لها أن تغيب، كلما تذكرتها قلت فى نفسى: لم تمت أمى.. وما مات أبى.

*****

تحت الوسادة

يقول: كنت أصغر إخـوتى، وكنا ثلاثة، وكان أبى طريح الفراش منذ فتحت عيناى على الدنيا وعلمت بعـد ذلك أن أبى كان قد تعرض لحادثة سـيارة لزم على أثـرها الفراش حـيث أصـيب بشلل شـبه كـامل وبعض العاهات المتفرقة، وكانت أمى تعمل بمهنة الخياطة وأشغال الإبرة، فتحيك لهذه فستانًا وتصنع لتلك عباءة ولثالثة بلوفر ورابعة قفازًا وخامسة جوربًا، وكانت ماهرة وصاحبة ذوق رفيع فى عمل المفارش وشغل التريكو اليدوى وغيره.



كانت أمى تضع كل ما تكسبه يداها تحت وسادة أبى، فإذا أردنا نقودًا لشراء كراسة أو كتاب أو مصروف قالت: خذ من أبيك، فأذهب لأطلب من أبى فيمد يده تحت الوسادة ويعطينى، وإذا أردنا النزول للعب أو الخروج فى رحلة مع المدرسة قالت: اذهب فاستأذن من أبيك، وإذا أرادت شراء حاجيات البيت أو ملابس المدارس أو الأعياد جلست مع أبى معنا وتشاورنا.. ثم طلبت منه مالاً فيمد يده تحت الوسادة ويعطيها، فإذا عادت سلمته كل ما اشتريناه وطلبت رأيه فيه، فإذا لم يعجبه شىء ردته وأحضرت غيره ثم سلمته باقى النقود ليضعها تحت وسادته بيده.. ومضت الأيام والسنون حتى أتممت العاشرة ووقتها مات أبى.

كان لا يعلم حالنا أحد من الجيران أو غيرهم، سوى القريبون جدًا، ولم يكن البيت متسعًا لاستقبال زملائى أو أقرانى، وكانت لى عمة إذا داعبتنى تقول لى: والله يابنى أمك هذه أم مثالية، ولم أكن أعرف معنى المثالية حتى قرأت يومًا فى جريدة عن الأمهات المثاليات والحفل الضخم الذى أقيم تكريمًا لهن والجوائز التى وزعت عليهن، وكنت فى الخامسة عشرة من عمرى، فحملت الجريدة وطرت بها إلى البيت، وقلت لأمى: هذه مسابقة الأم المثالية وقد أحضرت لك الجريدة لتشتركى فى المسابقة من العام القادم وستكونين الأولى، ولكنى فوجئت بها تبكى وتنهمر دموعها وتضمنى إليها بقوة وتقول: لقد سترنى الله وستركم وستر أباكم أكثر من خمس عشرة سنة أفأكشف ستر الله عنى وعنكم فى خمس عشرة دقيقة هو الزمن الذى تستغرقه كتابة الرسالة إلى الجريدة؟!.

أنا أرجو أن أكون مثالية عند الله وإن لم يعرفنى الناس..

*****

الستر

جاءت تشكو زوجها الذى يخلو إلى نفسه ويدير الفضائيات على أفلام الجنس وغيرها.

أصابتنى الحيرة إذ لم أجد جوابًا. فاتصلت بعالم فاضل جليل القدر فأجاب:

أولا: استرى عليه ولا تخبرى أحدًا بذلك ولا تتحدثى معه فى هذا الأمر وتظاهرى بأنك لا تعلمين.

ثانيًا: تجملى وتزينى وأظهرى كل ما تستطيعين إظهاره من مفاتنك وأنوثتك وتلطفى معه فى الكلام.

ثالثًا: أعدى مشروبًا أو مأكولاً واستأذنى فى الدخول عليه وأغريه بمشاركتك فإذا وجدته غير مرحب بك فاستأذنى واخرجى وقومى فصلى طويلاً واجتهدى فى الدعاء له بالهداية والرجوع إلى العفة واحمدى الله أن عافاك مما هو فيه، ومما هن فيه.

أخذتْ الوصفة وانصرفت شاكرة.

وبعد فترة طويلة نسيت خلالها الموضوع تلقيت مكالمة هاتفية.

قالت: أنا التى كنَت عندك فى موضوع كذا.

قلت: نعم أذكر.

قالت: الحمد لله، لقد عاد زوجى إلى أفـضل ما كان عليه وجاء باكيًا خاشعًا نـادمًا. وأخبرنى أنه كان يشعـر أننى أعلم به، وشكر لى معروفى وحفظ لى الجمـيل، ومن يومها يصافحنى عند دخـول البيت ويقبل يدى أمام الأولاد، فلا أملك إلا أن أقبل يده أيضًـا، ولا أختلس النظر إليه إلا وجدت عينيه مغرورقتين بالدموع.

*****

مين زى محمد؟!

تقول: لى أخت شقيقة تزوجت من رجل فاضل قليل الكلام كثير العمل، دائم التبسم محافظ على الصلاة فى المسجد، رزقت منه بطفل وطفلة، كانا من أسعد الناس ومن أحب الأزواج، لم يُسمعْ لهما صوت ولم يعلم أنهما اختلفا، كانا كالطفلين البريئين أو كالطائرين العفيفين.

لم يدم ذلك طويلاً، فقد توفى محمد وهو عائد من المسجد بعد صلاة الجمعة.

الطفلان: ثلاث سنوات وخمس سنوات، وهى فى الرابعة والعشرين، أوتيت من الجمال الكثير ومن الحكمة أكثر، تقدم لها كثيرون يخطبونها فلم تقبل بواحد.

ذهبت أمها إلى أهل زوجها المرحوم محمد وقالت لهم: هل يضيركم أو يحزنكم إذا تزوجت فلانة؟.

قالوا: لا، نحن نحب لها الخير ونسعى لها فى ذلك. دعتها أم المرحوم محمد وحدثتها بما فى نفسها ورغبتها فى أن يكون لها زوج يصونها وتستظل بظله.

فقالت: «لو حد زى محمد ماشى».

«بس مين زى محمد؟!».

*****

فقراء ولكن سعداء

أرغموا أنف الفقر ومرغوها فى التراب، فوقف بين أيديهم ذليلاً ثم خرَّ صريعًا وعاد منكسرًا حقيرًا صغيرًا، فاكتفى منهم بالثياب وببعض الفرش، لكن عاش الغنى فى نفوسهم وتربعت على عرشه قلوبهم.. فسعدوا وأسعدوا وفاضوا على من حولهم.

الرُعْراع:

نبات ذو رائحة طيبة ينمو بطريقة ربانية على ضفاف الترع وحواف الحقول.

تذهب المرأة لتجمع منه حزمة تمسكها بيد واحدة وتعود إلى بيتها فتنظف غرفة نومها وترتبها ثم تضرب الفراش والوسادة عدة ضربات بحزمة الرعراع فيترك فى الفراش رائحة طيبة ثم تغلق باب الغرفة ونافذتها، فإذا عاد الزوج من الزرع والحرث والسقى والجمع والضم والطحن فتحت له الباب فدخل غرفة نومه فاستنشق عطرًا وطيبًا وفرحًا وسرورًا .... «ببلاش».

النعناع:

يقول: كان أبى أحيانًا وهو فى طريق عودته إلى البيت يشترى حزمة نعناع، فإذا دخل البيت أخذ منها عودًا وأخفى الباقى، وبعدما يسلم على

أمى وعلينا ويصـافحـنا ويصافح أمى يمـسك عـود النعناع بيده ويقـول: أحضرت هذا العود خصيصًا لك، شـمى رائحته، إنها طيبة جدًا، ويقربه من أنفهـا ثم يقول: انتقـيته لك من بين ٢٥ عـودًا ووجدت هذا أطيبـها وأحسنهـا فاحتفظـت به لك، ثم يناول أختى حزمـة النعناع ويقول: هذه الحزمة لتصنعى لنا شايًا بالنعناع.

*****

زيارات الصديقات

أعلمى زوجك بمواعيد زيارات صديقاتك، واحرصى أن تكون زياراتهن فى فترات غيابه قدر الإمكان، فإن لم يكن وكانت زياراتهن فى وجوده فاحرصى على تهيئة كل ما قد يحتاج إليه أثناء وجودهن؛ حتى لا يضطر إلى استدعائك مرة ومرات وهن موجودات فيزعجك ويحرجهن. اتفقا على ذلك، فإذا تم الاتفاق فأنت أيها الزوج مطالب بالوفاء، والزوجة مطالبة بالاعتناء، والصديقات مطالبات بالشكر والثناء .. وتخفيف الزيارة «زر غبًا تزدد حبًا»[1].

إذا دخل زوجك البيت أو استيقظ من النوم وعندك بعض صديقاتك فاستأذنى فوراً وغادرى مكانهن قبل أن يأذنً لك وسارعى إلى زوجك، ولا تتركيه ولا تستأذنى منه بالرجوع إليهن قبل أن يصل إلى الرضاء الكامل ويرى أنك قد أديت ما عليك لأنه قد يأذن لك تحرجًا، والأولى أن يغادر الصديقات البيت فوراً حتى وإن لم يختم الحديث ولم يتم التوديع.

مشاركة مرفوضة

إن الرجل لن يكون سعيداً أبدًا بمن يشاركه زوجته ويرى أنه يحول بينها وبينه، وإن كانت أمها أو أختها أو صديقاتها، وأيًا من هذه الشخصيات يؤدى الاهتمام بها إلى التفريط فى حق الزوج يوغر صدره من ناحيتها وربما من ناحيتك أنت أيتها الزوجة.. فكونى على حذر.

---

(١) مستدرك الحاكم.

ورحم الله امرأة كانت تزور أمى، فإذا علمت ببلوغ أبى عتبة الباب أمسكت عن الحديث وانسلت منصرفة من غير استئذان ولا وداع وربما ولا تحية... لكَمْ كانت محترمة وقورة.

ثقيلة:

وإذا ابتليتِ بثقيلة لا يصلح التلميح معها، فقولى فى صراحة ووضوح: إن زوجى قد وصل أو إن فلانًا أو أبا فلان - حسبما يروق لك- قد عاد من العمل أو استيقظ من النوم وإن شاء الله نلتقى مرة أخرى. **«وأشوف وشك بخير»**

أكرم زوجتك:

إذا علمت بوجود صديقات لزوجتك فى بيتك، فيمكنك إعداد المشروبات أو تقديم الفاكهة وغيرها - جهز الصينية وأعط زوجتك إشارة صوتية أو ضوئية تأتى بعدها لاستلام هذه المكرمة ولا بأس بإعلامهن أن الزوج هو صاحب هذه النفحة، فما أكرمتهن لشخوصهن ولكن أكرمت نفسك وبيتك وزوجتك.

*****

زيارات الأصدقاء

أعلم زوجـتك بمواعيـد زيارات أصدقـائك والزمن المحدد على وجـه التقريب، سـاعة، ساعتين، ثلاث. وحاول أن تحدد ذلك بطريقـة جيدة، واتفقا على مستوى الخـدمة والإكرام المطلوب: هل نكتفى بكوب شاى أو كأس العصير أو يضاف إلى ذلك قطعـة كعك أو حلوى أو سنضيف شيئًا من الفاكهة، أم أن الأمر سيصل إلـى حد تقديم الغداء أو العشاء وصورة ذلك وحدوده.

واحرصا فى كل مرة على أن تتفقا ولو على حساب الضيوف، فسوف ينصرفـون ويبقى الود وهو خيـر من أن تختلفـا لتكرما ضيـوفكما. . ثم يمضى الضيوف ويبقى الخلاف، والخلاف شر.

*****

جمال الاعتذار

فى النفس أعماق ولها أغوار وفيها شعور ولا شعور.

عند الشعور بالخطأ وتوفر القناعة لديك بأنك مخطئ يتركز فى اللاشعور كراهية الخطأ وعدم الرغبة فى العودة إليه، ومن هنا تأتى التوبة ويتوج ذلك كله اعتذار لمن أخطأت فى حقه.

والزوج والزوجة أولى الناس بذلك.

سارع بالاعتذار لزوجتك إذا بدرت منك هفوة، وسارعى بالاعتذار لزوجك إذا ندت منك سقطة، فإن الاعتذار يريح النفسين ويرقق القلبين ويخذل الشيطان ويبعث على الثقة فى صيانة الحقوق ورعاية الواجبات ومعرفة مقادير الناس، أخطأ آدم فقال ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وأخطأ يونس فقال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [الأنبياء: ٨٧].

قل مرة: أنا آسف، وقولى مرة حقك علىّ، وقل مرة: سامحينى، ورابعة: ماعدتش أعملها، وقولى مرة بنوع من المزاح: العفو يا مولاى السلطان.

*****

ووقاحة التبرير

أبى إبليس أن يسجد لآدم وأعد لذلك مبررًا حَسبه مقبولاً ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فكان التبرير أقبح من الفعل.

وسكن قوم سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا أرادوا الماء مروا على من فوقهم، فرأوا أنهم آذوهم، فهداهم تفكيرهم السقيم أن يخرقوا قاع السفينة ليحصلوا على ما يريدون من الماء، ومبررهم فى ذلك ألا يؤذوا ساكنى السطح، فكان المبرر وقحًا والفعل جريمة.

لذلك نادى بأعلى صوتنا: دعونا من المبررات، فإن كل صاحب خطيئة عنده مبررات قد تكون مقبولة عنده وعلى مستوى فكره وثقافته وظروفه وأخلاقه، لكن غالبًا ما تكون المبررات مرفوضة عند الآخرين.

احتفظ بمبرراتك لنفسك أيها الرجل، ودع زوجتك تلتمس لك الأعذار إن كان عندها القدرة على ذلك.. وسيكون ذلك حتمًا.

واحتفظى بمبرراتك لنفسك أيتها الزوجة، ودعى زوجك يلتمس لك الأعذار إن كان عنده القدرة على ذلك.. وسيكون عنده قطعًا.

*****

نلتمس الأعذار

من نصائح العارفين

«التمس لأخيك سبعين عذراً فإن لم تجد فقل لعل عنده عذراً لا أعلمه»[1] والأزواج أولى بذلك.

فإن كثرة الواجبات وضيق الأوقات وتراكم المهمات مع تقارب الساعات واتساع نطاق النفقات مع ضيق ذات اليد أحيانًا، أضف إلى ذلك ما جُبل عليه الإنسان من النسيان والضعف وقلة التركيز أحيانًا وتعارض الأعمال مع بعضها البعض أحيانًا أخرى وعدم القدرة على ترتيب الأولويات. . كلها قد تكون أعذارًا يستطيع الزوج أن يلتمسها لزوجته، وأن تلتمسها الزوجة لزوجها، لا سيما إذا لم يكن ذلك الخطأ من عادته ولم يكن التقصير طبعها ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، والمعصوم من عصمه الله.

*****

(١) شعب الإيمان ٦٩.

ونَكلُ السرائرَ إلى الله

ليس كل خطأ كان مقصـودًا، ولا كل عثرة وراءها نية، ولا كل إساءة دفعت إليها عزيمة وإرادة.

لكن الناس ترى الأخطاء وتطلع على العثـرات وتتألم من الإساءات، فى الوقت الذى لا يعرفون فيه مقاصـد أصحابها ولا يطلعون على نياتهم ولا يستطيعون أن يقرروا الدوافع.

والعلماء يقولون: حسن المقاصد لا يبرر سوء الأعمال.

ومـثل الدُبةَ مشـهور: أرادت أن تذب الذبابة عن صـاحبـها رأفـة به ورحمة فرمته بحجر فقتلته.

ولذلك دع عنك أيها الرجل «ما كانش قصدى».

ودعى عنك أيتها الزوجة «ماكنتش أقصد».

إلا إذا كان يصحبها اعتذار واضح وصريح.

لقد وضع عمـر قاعدة قالها للناس بعد وفـاة النبى ﷺ وكان قد تولى القضاء قال رضى الله عنه: «أيهـا الناس إنا كنا فى زمان ينزل فيه الوحى يخبر بسرائر الناس. أما وقد انقطع الوحى فإنا نأخذ الناس بما ظهر لنا من أعمالهم ونكل سرائرهم إلى الله».

*****

أسرعى بالبكاء

الرجل يقع أسيرًا عندما تبكى المرأة. وكثير من النساء يلجأن إلى البكاء كوسيلة للخروج من المأزق والهرب من المواجهة، والرجل الكريم يقبل ذلك ويقره ويقتنع به، والمرأة الذكية هى التى تبكى فى البداية وتدمع مبكرًا عندما لا يزال الرجل رابط الجأش قوى الأعصاب هادئ الطبع سليم المزاج صافى الفكر.

أما الأخرى فإنها تبكى فى النهاية وتدمع مؤخرًا بعد ما تكون قد أحرقت أعصابه وأتلفت مزاجه وعكرت صفوه وأذهبت حلمه وعقله ووقاره ولم يعد يدرى أين رأسه وأين رجله. ووقتها لا يزيده البكاء إلا قسوة ولا الدموع إلا ضراوة، وعندها لا تلومى إلا نفسك.

*****

..أو أسرع أنت هاربًا

ذات يوم اتصلت بأخ كريم كي أستشيره فى أمر ما، فأُخبرت أنه ليس بالبيت، بالمكتب غير موجود، المحمول غير متاح، الشركة: لا نعلم، أقرب الأقارب: ليس عندنا خبر. أصدق الأصدقاء: لا أعلم. عاودت الاتصال بالمنزل: غير معقول هذا الذى أسمعه.. فلان اختفى (فص ملح وداب). قالت الحقيقة أننا اختلفنا أمس فخرج ولم يعد، ولا أعلم أين هو، وكان واضحًا أن الصوت مخنوق وربما العبرات محبوسة أو منهمرة.

بعد يومين اتصل بى الأخ الكريم وقال: كان بيننا خلاف فآثرت ترك البيت وذهبت إلى أحد الفنادق، فأقمت هناك يومين وليلتين قلت: وهل هذا هو الحل؟!

قال نعم: فرصة أراجع فيها نفسى وأصحح أخطائى بعيدًا عن جميع المؤثرات وهى أيضًا تراجع نفسها وتصحح أخطاءها وتصل إلى قناعات صائبة من تلقاء نفسها، وأنا جربت هذه الطريقة قبل ذلك وكان لها أثر بالغ. فأردت أن أضاحكه فقلت له: اترك خبرًا فى أى مكان حتى تحسبًا للموت، فضحك وقال: بطاقتى فى جيبى.

الحقيقة أنى لم أقتنع اقتناعًا كاملاً وإن تأكدت من وجود بعض الميزات فى هذه الطريقة.

فى اليوم التالى مباشرة قرأت هذا النص المبارك:

عن سهل قال: ما كان لعلى اسم أحب إليه من «أبى تراب» إن كان ليفرح إذا دعى به، فقيل له أخبرنا عن قصته لم سُمِى أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليًا فى البيت فقال: **أين ابن عمك** فقالت: قد كان بينى وبينه شىء فغاضبنى فخرج ولم يُقل عِندى. فقال لإنسان «**اذهب انظر أين هو**» فجاء فقال يا رسول الله هو راقد فى المسجد، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه التراب ويقول «**قم أبا تراب قم أبا تراب**»[1].

فأسرعت إلى الهاتف واتصلت بصاحبى. قلت: مبارك. قال: على أى شىء؟! قلت: أصبت السنة. قال: أى سنة؟!.. فتلوت عليه القصة.

أخى الرجل الكريم والزوج العفيف: أتركك تعيش مع هذا النص؛ مع الرسول؛ مع على؛ مع فاطمة.

تأمله جيدًا، عندى كثير أحب أن أقوله، ولكن أدرك تمامًا أنك أدركته، وأخشى إن أطلت أن أفسد عليك حلاوة المعايشة وعظمة التدبر، وخير الكلام ما قل ودل. والحر تكفيه الإشارة وبها اللبيب يفهم.

فإن أبيت إلا المحاورة والمناقشة والإرغام على الإفهام وتغيير القناعات بالصوت المرتفع أو بالوعيد والتهديد أو بغير ذلك من الأساليب التى يعف القلم عن ذكرها، فاعلم أنك قد خسرت وانهزمت، ليس أمام زوجتك فقط ولكن أمام الشيطان، ولا تلومن إلا نفسك.

---

(١) أخرجه مسلم.

معركتكما.. مع إبليس

يجمع إبليس صبيانه وعماله ووكلاءه ومندوبيه آخر كل يوم، ليحاسبهم ويقف على مجهود كل واحد من هؤلاء الأبالسة الصغار، ويسألهم واحداً تلو الآخر:

الأول: ماذا صنعت اليوم؟.

: ظللت بفلان حتى شرب الخمر.

: يتوب فيتوب الله عليه.

الثاني: ماذا صنعت اليوم؟.

: ظللت بفلان حتى سرق.

: يتوب فيتوب الله عليه.

الثالث: ماذا صنعت اليوم؟.

: ظللت بفلان حتى زنى.

: يتوب فيتوب الله عليه.

الرابع: ماذا صنعت اليوم؟.

: ظللت بفلان حتى طلق امرأته.

: أنت أنت أنت.

فيجلسه بجواره فيدنيه منه ويقربه إليه، بعد أن أثبت نبوغه وتفوقه فى خراب البيوت والتفريق بين المتحابين وإدخال النكد والتعاسة على أبناء المؤمنين.

وها هو القرآن ينطق بهذا: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة : ١٠٢].

مع أن الأباليس والسحرة يصنعون الكثير من الموبقات ويتفننون فى إلحاق الضرر بالمؤمنين والمؤمنات ولكن لما كان هذا هو أكبر ضرر وأعظم جريمة يفعلونها ذكرها القرآن وكأنهم لا يعملون غيرها.

*****

الصداقة... أسمى علاقة

عندما يصل الزوجان إلى مستوى الصداقة تكون علاقتهما الزوجية قد بلغت درجة الكمال وعندما يجد كل منهما أنه يحب صاحبه ويرتبط به ليس من أجل الحاجة والاستمتاع واللذة ولا بسبب الأولاد. بل إن الأمر أبعد من أن يكون حقوقًا وواجبات. . . . ولكنها الصداقة.

أرقى أنواع العلاقات البشرية والروابط الإنسانية وأسمى ما تطمح إليه نفوس الأسوياء من الآدميين، هنا يستطيع كل من الرجل والمرأة أن يصارح صاحبه بمشاعره وأن يعبر عن خلجات نفسه وأن ينكشف أمامه بلا حرج.

فيذكر كل منهما لصاحبه ما لا يروقه من تصرفات وما لا يعجبه من سلوكه بنفس السهولة واليسر التى يثنى بها عليه عندما يوفق إلى الخير والإحسان وفى نفس الوقت يقبل الطرف الآخر هذا وذاك بنفس الدرجة. . . لا فرق. . !! فإذا أصاب صاحبه شكره وأثنى عليه وإذا أخطأ صوبه وصحح له مساره بنفس الهدوء واللطف والحب الذى كان يصحب الشكر والثناء. . . لا فرق. . !! وذلك فى كل ما يتعلق بأمر الحياة الزوجية بدقائقها وتفاصيلها وحلوها ومرها. فيشكرها على حسن الأداء وتشكره أو تعتذر له صراحة فى مرة من المرات وهو يقبل عذرها وقد تلتمس له عذرًا إذا رأته معذورًا.

وقد عاصرت من ذلك قصتين:

١- أوروبية

الأولى لامرأة أوروبية أسلمت وتزوجت من طبيب مصرى مسلم يعمل فى بلدها ويحمل جنسيتها، رزقت منه بولدين وبلغا مرحلة الدراسة الجامعية، ذات يوم صارحته بأنها لم تعد تهتم بمسألة الممارسة الجنسية وأنها لا تجد الرغبة التى كانت تجدها من قبل وأن عليه أن يبحث عن أخرى تسعده فى هذا المجال ووعدته أن تقف إلى جواره... ونفذت ذلك بالفعل.

سألتها: هل أنت سعيدة بما حدث؟!!

قالت: نعم. أنا وفرت لزوجى شيئًا يسعده فى نفس الوقت الذى أصبحت أنا فيه عاجزة عن توفيره ولا أزال أحبه ولا يزال يحبنى وتربطنا أشياء كثيرة غير الفراش!

سألتها: تقصدين الأولاد؟!

قالت: لا، الأولاد أيضًا سوف يذهب كل منهم إلى مستقبله وبيته وزوجته ولكن تبقى الصداقة والحب والوفاء.

٢- خليجية

والقصة الثانية من الخليج حيث تعرفت على رجل كريم له زوجتان. ولما كانت بيننا علاقة وثيقة وثقة كبيرة سألته يومًا عن تجربته.

فقال: أنا أحدثك بصراحة. زوجتى الأولى ملكت علىَّ قلبى وحياتى وهى صاحبة الفضل على بعد الله فقد تزوجتها وأنا فقير ورزقت منها

بأولاد كثيرين وتحملت معى السراء والـضراء وأسأت إليها فى بداية حياتى لقلة خبرتى فى التـعامل مع النساء وربما لضيق ذات اليد فـإنه من أسباب ضيق الصـدر وسوء الخلق. وتقدم العمـر بى وبها ولكننى وإن كنت على أبواب الستين من عمرى إلا أننى كما ترى فى قوة الشباب وفتوتهم.

ومنذ حوالى عشر سنوات شعرت بقلة اكـتراثها بما أحتاج إليه من أمر النسـاء وحاولت جـاهداً أن أشجـعها علـى الاستمـرار وكنت أكثـر من مداعبـتها وترديد عبـارات الغزل والهيام وأحضـر لها أدوات الزينة وأنواع العطور ولكن المردود كان ضعيفًا وكانت النتيجة صفراً.

صارحـتها بأنى غيـر قادر على التحـمل فإذا بها تفـاجئنى: أنا عندى حل.

قلت: وما هو؟

قالت: تزوج.

قلت: كيف؟

قالت: بلا كيف. كما يتزوج الرجل.

قلت: وأنت والأولاد.

قـالت: أنا زوجـتك والأولاد أولادنا وكل ما بـيننا من عـلاقة قـائم ومسـتمـر؛ المشاركة الوجـدانية والتـشاور فى أمـورنا الحياتيـة ومواجـهة المسئوليات والتخطيط لمستقبل أولادنا. كل ذلك قائم ومستمر، فقط لحظة الفـراش التى تمثل نصف ساعـة كل يومين أو ثلاثة. هذه فـقط هى التى سوف تتوقف.

يقول: وكانت.. كل خطوات زواجى كانت تحت إشرافها من الاختيار إلى يوم الدخول وخدمتنا أسبوعًا كاملاً وبعد انقضاء الأسبوع جمعتهما لأجرى القرعة بينهما للقسمة لأبيت عند كل واحدة منهما ليلة ففاجأتنى بقولها:

لقد تنازلت عن كل الليالى لهذه المرأة التى أسعدتك وأنا سعيدة سعادتك وسعادتها، يكفى أننا نلتقى بالنهار ونسلم ونتصافح ونتعانق وتجلس إلى جوارى على مائدة الطعام ونتشاور فى أمورنا.

يقول: ومن يومها ازداد تعلقى بها ووجدت ذلك فى امرأتى الجديدة حتى إنها لتقول لى دائمًا: والله ما أرى بينها وبين أمى من فرق وصار لى من زوجتى الجديدة أبناء وبنات لا أرى إلا أنهم جميعًا أبناء امرأة واحدة.

*****

رسالة عتاب

المعاتبة: تنمى الهفوات وتوغر الصدور لذا كان تركها أفضل مع الأخذ فى الاعتبار تصحيح ما ينبغى تصحيحه بطريقة القصص الهادف أو النصح الرقيق وإذا كـان لابد من المعاتبـة فلتسـبقهـا رسالة ود وحب يشـعر من خلالها الطرف الآخر بالثقة والاطمئنان.

أراد القرآن لفت انتباه النبى ﷺ إلى عمل كان من الأولى تركه فقدم رسالة حب ودعـوة صدق قبـل المعاتبة فـقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

وكان الإمام المجدد حسن الـبنا ينادى إخوانه وتلامذته ومريديه بأحب أسمـائهم فإذا أخطأ أحدهم وأراد تصـويبه ومعاتبـته ناداه باسمـه المحبب مسبوقًا بكلمة «يا أستاذ» حتى صار معروفًا عند الإخوان أنه إذا نادى أحدًا قائلاً «يا أستاذ فلان» أدرك تمامًا أنه يريد أن يعاتبه أو ينبهه إلى خطأ.

كان لى صديق سافر بعيدًا عن بيته لعدة أشهر وعاتب زوجته يومًا عبر الهاتف فى أمر حسبته هى هينًا وعده هو عظيمًا. ثم حدثها بعد ذلك عدة مرات محاولاً إفـهامها أن الموضوع قد انتهى وأنه أراد فـقط لفت انتباهها ولكن كان فى كل مرة يجد جفاءً فى التـعبير وبرودًا فى العاطفة ولا يجد فى محادثة الهاتف ما كان يجده من الود والصفاء.

***

لا تعاتب فـى رسالة ولا فى هاتف إلا إذا سبق العتاب كلمات الود وتعبيرات الحب وعبارات الهيام، هذا إذا كان الأمر عاجلاً ولا يحتمل التأخير.

فإذا كانت الأخرى فهى أولى حيث إن رسالة الحب وعلامات الصفاء لا تصل بكمالها إلا مع التقاء الأبدان وبشاشة الوجه ونظرة العين ولمسة اليد وعناق الأرواح وهذه كلها لا تحملها رسالة مكتوبة ولا تنتقل عبر الهاتف.

وفى هذا المعنى يقول أحد علماء النفس «البرت ميرابيان»: إن التأثير النهائى لأى رسالة يتحقق من خلال الكلمة ونبرة الصوت وحدته ثم تعبيرات الوجه وإيماءات الجسد وأن النسب التى يساهم بها كل من هذه المكونات كالتالى:

الكلمات المستخدمة	٧٪
نبرة الصوت وحدته	٣٨٪
تعبيرات الوجه وإيماءات الجسد	٥٥٪

*****

رسالة من أسير... مُحِب

روحى لا تفارق روحك وصورتك لا تفارق عينى وكأنى أسمع صوتك ينادينى كلما التفتت يمينًا أو يسارًا. والحمد لله أننى أخلو من ذلك كله ساعة الصلاة وأسأل الله العفو والعافية.

ما كنت أحسب أنى أحبك بهذه الصورة إلا لما تباعدنا والحمد لله أن الأسباب ليست بأيدينا، ثم الحمد لله الذى أذاقنى هذا الحب وأطعمنى ذلك الشوق وأحسب أن الذى عندك ليس بأقل مما عندى.

إن شاء الله سوف تكرمين وتعوضين خيرًا إن لم يكن فى الدنيا فلنا فى الجنة متسع، ولن يدخلها ذلك الذى يفرق بين المرء وزوجه، وليس للجنة طعم من غير أن نكون معًا، وسنتصافح ونتسامر هناك كثيرًا ونتعانق هناك طويلاً طويلاً طويلاً.

حيث لا فراق بعد اللقاء ولا غربة ولا كربة ولا وحشة، وفضل الله أعظم مما نتخيل، ورحمة الله أوسع مما نتصور، وسيجعل الله بعد عسر يسرا، وأفضل العبادة انتظار الفرج.

*****

الواجبات أكثر من الأوقات

هذا عند أصحاب الـهمم العالية والاهتمـامات الكبيرة، أمـا الفارغون فـإنهم يبحـثون عن وسـائل يقـتلون بها الأوقـات ويتـفننون فى تضيـيع الساعات ويشكون من الفراغ والملل والسآمة.

والحمد لله الذى عافانا من هذه العفانة...

وهنا يبـرز سـؤال: هل من الـضـرورى أن يكون الرجل صـاحب المسئوليات، الكثير المشاغل، الذى يقضى فى بيته أوقاتًا قليلة معظمها فى النوم وتناول الطعام ودخول الحمام.. هل من الضرورى واللازم ألا يكون سعيدًا فى بيته وألا يجد وقتًا لإسعاد وإمتاع زوجته.

بمعنى: هل لابد أن يكون نجاح الرجل أو نجـاح المرأة فى المجتمع على حساب سـعادتهما، أو بصـيغة أخرى: هل يمكن الجـمع بين النجاح فى المجتمع والنجاح فى البيت؟.

إن قضـية الاسـتفـادة من الوقت واغتنام المواقف واسـتغلال الـدقائق والثوانى واقتناص الفـرص قضية علم وفقه وتمرس وخـبرة.. ثم هى قبل وأثناء وبعد ذلك كله: توفيق من الله.

*****

نماذج بشرية

١- راسب:

كثيـر من الرجال يقضون فى بيوتهم السـاعات الطوال، لكن أحدًا لا يشعر بوجودهم، ولا يستطيـعون أن يسعدوا أزواجهم فى هذه الأوقات، بل ربما اختـلقوا المشاكل والخناقـات، وتمنت المرأة ألو غادر الرجـل البيت (وراح فى ستين داهية).

وهذا نموذج سـاقط ومنبوذ ومـكروه، ولا نحب أن نراه وهو الحاضـر الغائب.

٢- مقبول:

وهناك نموذج آخر، وهو الرجل المنتظم، صاحب المسـئوليات المحدودة والمشاغل الثابتة تقريبًا، فهو ينظم وقته بين عمله وبيته، ويؤدى دوره نحو زوجته بطريقة روتينية منتظمة، فهو ليس مقصرًا، كما أنه فى نفس الوقت ليس مبتكرًا ولا مثيرًا ولا جذابًا.

وهذا نموذج مقبول «ويا دار ما دخلك شر».

٣- ضعيف:

وهناك نموذج ثالث، وهو الرجل صاحب المسئوليات الكثيرة والأعمال الوفيرة، والتـى قد تكون تافهة أحيـانًا ومهمة فى بعض الأوقـات. يكثر غيـابه عن بيته، فإذا عـاد إلى البيت فكأنه قد عـاد إلى فندق أو لوكاندة

يسأل عن الطعـام والشراب وينبه عـلى الهدوء التام وتجلس امـرأته بجوار باب غرفة نومه إذا نام لتـرفع إصبعها على فيها كل دقـيقة وتقول للأولاد «هُس أبوكم نايم». فـتعلن حالة الطـوارئ عند دخوله وتنطلق صـفارات الإنذار عند خروجه.

وإذا عاتبـته زوجـته على عدم الاهتـمام وقلة الاكـتراث تعـذر بكثرة الأعمال والسعى وراء لقـمة العيش، فإذا علت نبرتها أو أعلنت غضـبتها قال «أنت عايزانى أقعد جنبك؟!».

وهذا نموذج ضعيف قليل الحيلة «غرقان فى شبر مية».

٤- النموذج الفذ:

صاحب أعمال، كثير الاهتمامات واسع العلاقات، دائم الارتباطات، ولكنه يعطى كل ذى حق حقه.

إنه يعـيش فى العمل بروح المسئـول، ويعيش فى البـيت بروح الأب والزوج، ويمشى فى الشـارع بروح الناقد الناصح الأمين، فـيحـمل الكّل ويقرى الضـيـف ويغيث الملهوف وذا الحـاجة، يترك عـمله وراء ظهره إذا دخل البيت، ويترك بيته على عتبة الشركة أو المصنع، ولا مانع من بعض المناوشات التى لا تستولى على الاهتمامات.

إن كثيرًا من الناس يدخلون بيوتهم بمشـاكل أعمالهم وأعباء وظائفهم، وإن كثيرًا منهم يدخلون مكاتبهم ويذهبون إلى أعمالهم فى الصباح بأعباء بيوتهم ومشاكل ليلتهم المنصرمة «وهذه بذرة الفشل».

إن هذا النموذج الرابع الرائع الرابح.. هو الغائب الحاضر.

إنه فنان يرسم حياته ويخطط أوقاته بريشة رفيعة وألوان خلابة، فتبدو اللوحة ناطقة والصورة واضحة، إنه يغتنم كل دقيقة ويستفيد من كل التفاتة ويستثمر كل لحظة.

دخول البيت:

فإذا دخل البيت سلّم وصافح وطبع قبلتين على الخدين، وسأل عن الصحة والعافية، ومزح مزحة، وضحك ضحكة، ولامس وداعب، كل ذلك بينما هو يغير ملابسه أو يخلع حذاءه، أو يشارك زوجته وأولاده فى ترتيب المائدة وإعداد الطعام.

على السفرة:

فإذا جلس إلى المائدة أجلس زوجته عن يمينه، فإذا تطفل أحد الأولاد على مكانه أو مكانها قال فى رقة ووداعة: يا حبيبى هذا مكانى بجوار أمك، أو هذا مكان أمك بجوارى، تعال فاجلس عن يسارى أو اذهب فاجلس عن يمين أمك.

فإذا بدأ الطعام سمى الله وقال مدى يدك أولاً، فتقول: أنت الأول فيقول: والله لا آكل حتى تأكلين، فإذا بدأت ناولها ملعقة أو قرب إليها كوب ماء أو اقتنص لها قطعة لحم لصيقة بعظمة أو.. أو... وهى بالطبع تصنع ذلك أحيانًا.

ثم هو أثناء الطعام يحكى قصة أو يروى خبرًا أو يعلم أدبًا أو يفيد علمًا أو ينقل تحية أو يبلغ سلامًا أو يطلب شيئًا من ذلك من الحاضرين؛ زوجة كانت أو ولدًا.

بعد الأكل:

فإذا انتهى من الطعام لم يقم حتى تنتهى زوجته، لأنها ربما تتأخر ليس لأنها نهمة ولا شرهة ولا بطنة ولكن لأنه قد تكون عادتها أنها تأكل بتؤدة أو لأنها أكثر انشغالاً بمناولة الآكلين وضبط الملح وعصر الليمون وملء ما فرغ من الأطباق وغير ذلك، فإذا قامت قام معها إلى موضع الغسل فغسلا سويًا وتحدثا وتمازحا ومج فى وجهها مجة ماء ورشت عليه قطرات لا تبلغ حد البلل، وما لا يترك كله لا ينبغى ترك أقله.

عند النوم:

فإذا أراد النوم دعاها ليقيلا سويًا، فإذا اعتذرت لعدم حاجتها إلى النوم أو لوجود بعض المشاغل والأعمال التى لابد من إنهائها. دخلت معه غرفة النوم وألقت عليه غطاءً خفيفًا أو كثيفًا، وطبعت على خده قبلة وتركته ينام، فإذا قال أيقظينى الساعة كذا قالت: اضبط المنبه. قال والله لا يوقظنى إلا أنت، فإذا ذهبت لتوقظه اقتربت منه جدًا ووضعت يدها على صدره أو حسبما يروق لها وهزته بلطف أو حركت يدها بخفة ونادته بهمس رقيق حتى يستيقظ، فإذا قام وحمد الله أنه رد عليه روحه وأحياه بعد الموت ناولته كوبًا من ماء أو رشفة من عصير وهو يصنع ذلك أيضًا.

فى سلطانها:

وقد لا ينام ولكن يعرض مساعدته ومشاركتها فيما عندها من أعمال، ويعمل معها مأمورًا ومساعدًا، فتقول ناولنى هذا وضع ذاك، وهو فى كل هذا يقول: حاضر ونعم، فأنت الآن فى سلطانها وسلطان المرأة لا ينبغى منازعتها فيه، ولابد من إعطائها مساحة بهذا الشكل حتى تستطيع أنت احتلال باقى المساحات التى أناطها بك الشرع والقانون والعرف والمصلحة الخاصة والعامة.

تفاوت ودرجات

وبين هذه النماذج الأربعة المتفاوتة مـا بين القاع والقمة، والتى تتراوح بين السـقوط والارتفـاع وبين الهبـوط والارتقاء، بين هذه النمـاذج نماذج أخرى كـثيـرة قد تصل إلى تعـداد البشـر، فإنه بداخل كل إنسـان مملكة مسـتقلـة من الأفكار والرؤى والأخلاق والسلوك والقناعـات والخلفـيات والعلوم والفنون من كل ما هو حسن ورديء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ.....﴾ [الروم: ٢٢]

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ....﴾ [الأنعام: ٩٤].

هذه الخلقـة المنفردة جعلـت لكل إنسان طعـمًا ولونًا ورائحة وطـريقة وأسلوبًا، بحيث نستطيع أن نقول إنه ليـست هناك نسخًا مكررة ولا أفرادًا متطابقين.

*****

الأســرار

النفوس تتــغير والقلوب تتــقلب والأحوال تتبــدل، فبينمــا هو مذنب بالنهار إذا هو مستــغفر بالليل، وبينما هو متفلت فى شــبابه إذا به ينضبط فى رجولته، وقد يكون معوجًا فى فتوته ثم يستقيم فى كهولته **«والقلوب بين أصبــعين من أصابع الله يقلبها كــيف شاء»**(١) وكان أكثر دعاء النبى ﷺ **«يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»**(٢).

والإنسان قــد يحتفظ بأســراره، ويطلع على الآخرين فــيكتشف بعض المخبوءات، وقد يبوحون ببعضهــا إليه، ومن الأسرار ما يفيد علمه، ومنها ما يضر، ومنها ما هو ليس بالنافع ولا بالضار.

والرجل قــد تكون له سوابق، والمرأة كــذلك قــد يكون لها ســوابق، والمعصوم من عصم الله.

أسرار الماضى:

زنت امرأة على عهد عمر بن الخطاب ثم تابت وحسنت توبتها وجاءها من يخطبها، فــانطلق أبوها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستــشيره فى إخبــارهم بما كان من أمــرها، فقــال: «لئن فعلت لأعــاقبنك عــقوبة يتحدث بها أهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المؤمنة».

---

(١) مسلم.

(٢) الترمذى.

وعليه، فليس من الحكمة أن يخبر الرجل زوجته بماضيه وأن يحدثها عن مغامراته ونزواته، وليس لها أن تسأل عن ذلك: وإذا سألت أخبرها بأنها أول وآخر من رأى وأن هواها «صادف قلبًا خاليًا فتمكنا» وليس هذا من الكذب بل هو من الإصلاح، فإن النبى ﷺ أباح للرجل أن يكذب على امرأته ليصلحها وأخبرنا بأنه «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(١).

كما أن المرأة ليس لها أن تخبر زوجها بماضيها إن كان لها ماض، وليس له أن يسألها، وإذا سألها فليكن جوابها كما كان مقترحًا فى جواب الرجل. ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦].

وليس لأحد أن يحتج بقوله ﷺ «**كلكم راع وكل مسئول عن رعيته**»(٢) فإن فترة ما قبل الزواج وما يتعلق بها من أخلاق وعلاقات واستقامة وعوج وصلاح وفساد ليست من مسئوليات الزوج أو الزوجة تجاه بعضهما البعض إنما تبدأ مسئولياتهما بعد ما أحل الله كلاً منهما لصاحبه، فليعرف كل منا قدر نفسه وقدر صاحبه وليلزم كل منا حده.

أسرار الأهل:

قبل الزواج وبعد الزواج، للمرأة أرحام وأهلون وصديقات وزميلات، ولها خصوصيات من مال وغيره، وهذا كله شأنها وليس شأن زوجها، وليس له أن يسأل، وإذا سأل فمن حقها ألا تجيب أو تورى أو تهرب من الجواب، لاسيما إذا كانت الإجابة تكشف سرًا أو تهتك سترًا أو تجرح

---

(١) الترمذى.

(٢) البخارى.

أحدًا، على أن تحرص ألا تفسد علاقتـها بزوجها، وأن تكون كما يقولون (دبلوماسية) قدر الإمكان.

أما مـا يتعلق بالبيت والأولاد والزوجـية من أسرار ومعلومـات، فإنه ينبغي للمرأة أن تخـبر بها زوجها أولاً بأول بالطـريقة اللائقة وفي الوقت والظرف المناسبين «وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز».

فإذا عـدت يومًا فوجـدت عينيها تدمـعان فقلت مـا الخبر فـقالت: أمي مريضة! فلا تقل مـا مرضها؟ ولكن اعرض خدماتك واسـتعدادك للسعي في تطبيبها وادع لها بالشفاء وارفع سماعة الهاتف واطمئن عليها.

وإذا قـالت: أختي على خـلاف مع زوجـها، فـلا تقل: وما سـبب الخلاف؟ فقـد يكون سرًا استودعتـها إياه، ولكن ادع الله أن يرأب الصدع وأن يجمع الشمل، ودلهـا أو خذ رأيها فيمن هو أقـدر الناس على القيام بالإصلاح وأفضل من يتدخل للتوفيق بين المختلفين.

وأنت أيتها الزوجـة: احذري أن تقعي فيمـا حذرنا زوجك من الوقوع فيه، فإن له أسرارًا وخصوصيات لا يجب أن تشاركيه فيها.

أسرار الزوجية:

إن من أخص الخصوصيـات ومن أعمق الأسرار، ما يكون بين الرجل وزوجه مما لا يطلع عليه غيرهما من الناس ولو كان أخًا أو أبًا أو أمًا، فإن النبي ﷺ حذر من ذلك «**إن من أعظم الأمـانة عند الله يوم القـيامـة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**»[1].

(١) مسلم.

إن ذلك يفقد الثقة بينهما ويوغر صدورهما ويسمح للحاسدين والحاقدين ومتحينى الفرّص ومنتظرى الهفوات، بالتدخل، ويفتح لهم الثغرات التى ينفذون منها لإفساد ما بين الزوجين.. فكونا على حذر.

كما أنه من دفين الأسرار التى ينبغى كتمانها: حالة الزوج وظروف البيت، ويتطلب ذلك احتمال الزوجة لأوقات العسر والشدة طالما أن الأمر ليس فيه تفريط أو قعود من جانب الزوج، وعليها أن تديم الشكر وتذكر الفضل.

عتبة البيت:

روى البخارى عن ابن عباس: «لقد ذهب إبراهيم يزور ولده إسماعيل فلم يجده ببيته، فسأل امرأته ولم تكن تعرفه: كيف حالكم؟

قالت نحن فى جهد وشدة وبلاء، فقال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال: هذا أبى وقد أمرنى بفراقك فالحقى بأهلك. ثم تزوج إسماعيل بأخرى.

ثم جاء إبراهيم بعد زمن طويل، فلما سأل المرأة عن حالهم قالت: نحن فى خير وسعة وبركة فقال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له يثبت عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال: هذا أبى وأنت عتبة الباب وقد أمرنى أن أمسكك» وكأنه أراد أن يقول لها: أنت امرأة صالحة أنت زوجة فاضلة مثلك لا يُترك بل يُتمسك بها وتوضع فوق الرؤوس أنت تسترين بيتك وتحمدين ربك وتشكرين زوجك.

مال الزوجة

قد يكون لزوجتك مال اكتسبته من عمل تعمله قد أذنت أنت فيه، أو ورثته من قريب لها، أو وهبه لها ذو رحم، وقد يكون هذا المال نقدًا أو حليًا أو عقارًا.

إن قضية التملك وحرص الإنسان على ماله وخصوصياته غريزة إنسانية أودعها الله فى الإنسان من أجل استقامة الحياة وصيانة النفوس، ولولاها لضاعت الأموال وتلفت الحياة، والمرأة تحب أن تكون حرة فى مالها وألا تمتد إليه يد إنسان ولو كان زوجها إلا إذا كان عن طيب نفس ورضاء كامل والاستعفاف من جانب الزوج أولى وأوجب.

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٤].

فإذا كان هذا النص فيما أعطيت أنت وامتدت يدك به إليها ابتداءً وهو صداقها ومهرها فمالم تمتد به يدك إليها أولى بالترك والاستعفاف.

إن للمرأة ذمة مالية كما للرجل ذمته، ولا يحق للزوج باسم الزوجية أن يرغم المرأة على التصرف فى مالها بالطريقة التى تروقه أو تعجبه، إلا أن يستدين منها كما يستدين من غيرها إذا شاءت، أو أن ينصحها بحسن التصرف إذا رآها أساءت أو أسرفت أو بذرت - تمامًا كما ينصح غيرها، أو أن تستشيره فيشير عليها كما يشير على غيرها.

قوامتك بمالك:

إن الرجل له القوامة على المرأة بشروط كثيرة، منها أن ينفق عليها من ماله طعامًا وشرابًا وكسوة وترفيهًا ودواءً وتطبيبًا كل ذلك بالمعروف، فإذا تطلع إلى مالها أو هفت نفسه إليه أو امتنع عن الإنفاق أو قصر فيه منتظراً أن تكمل نقصه أو أن تجبر كسره بمالها، إذا صنع ذلك سقط من عينها وفقد الكثير من سلطانه وهيبته وقد يضيق رزقه وتنغص حياته، لأن الله قد يرزقه بها ويمرر رزقها إليها من خلال يده.

تصدقى عليه:

كما أنه يستحب للمرأة أن تشارك زوجها وأولادها وأن توسع عليهم من مالها، فإن ذلك يسرهم ويدعم علاقة الزوجية ولو كان ذلك فى صورة هدايا ونفحات لكان أفضل كثيراً.

وقد يكون الزوج فقيراً والمرأة موسرة فتتصدق عليه من مالها وعلى أولادها، وقد قال النبى ﷺ لزينب امرأة عبد الله بن مسعود لما أرسلت إليه تسأله عن جواز الصدقة على زوجها وأقاربها. فقال «**نعم لك أجران،أجر القرابة وأجر الصدقة**»[1].

*****

(١) البخارى.

أحق الناس بحسن صحابتك: أمك[1]

ماذا تصنع إذا تعارضت رغبات زوجتك وطلبات والدتك؟ إن زوجتك امرأة تخطئ وتصيب وأنت تحبهــا وهى تحبك ولا نحب لكما أن تختلفا. وإن أمك امرأة تخطئ وتصيب وأنت تحبها وهى تحبك ونربأ بك أن تسىء إليهــا. لكن بعض الأمهات يكــن جائرات كمــا أن بعض الزوجات يكن للحرب مسعرات، فانتبه.

لا يحملنك حب أمك ورغبتك فى إكرامها وبرها على ظلم زوجتك.

ولا يحملنك حبك لزوجتك وهيامك بها إلى إغفال حق أمك وبرها.

وقم بينهما بالقسط. . ولوْ على حساب نفسك، واحتسب.

فيما يتعلق بأمر زوجتك وعلاقة الزوجــية وحقوقها اجعله بينك وبينها ولا دخل لأحد فيــه، ولو كانت والدتك. وفيما يتــعلق بأمر أمك وبرها والإحســان إليهــا اجعله بينك وبين أمك ولا دخل لأحــد فيــه ولو كانت زوجتك. وليعرف كل قدر نفسه وقدر غيره. وليلزم كل إنسان حده.

وكلما اجتهدت فى الإحسان إليهما وصدقت الله فى إرضائهما، كلما اقتربتا وتسامحتا والتقت نفساهما. . وأنت الرابح أولاً وآخرًا.

*****

(١) البخارى.

أيها الرجل وأيتها المرأة

اتفقا ولا تختلفا وتعاونا ولا تنافرا واجتمعا ولا تفترقا:

١- احرصا على أن يحاسب كل واحد منكما نفسه واجتنبا أن يحاسب كل منكما صاحبه ولا تبيتا إلا متسامحين متغافرين وعلامة ذلك أن تتعانقا كل ليلة.

٢- اتفقا على موعد لإنهاء الأعمال المنزلية يوميًا، يبقى بعده وقت متسع للحديث والتشاور والقراءة والتنزه وغيره.

٣- اتفقا على ما يحتاجه البيت من مشتروات نوعًا وكما من أثاث وفرش وصيانة بما يتناسب مع ميزانية البيت والأولويات المطلوبة.

٤- اتفقا على أيام التسوق وأيام الغسيل والصيانة الدورية (التنفيض).

٥- اتفقا على يوم للزيارات وصلة الأرحام دوريًا أو غير ذلك.

٦- اتفقا على يوم لحضور درس فى مسجد أو ندوة فى محفل أو محاضرة فى ملتقى.

٧- احرصا على الاستحمام والاغتسال سويًا مرة كل أسبوع أو كل شهر.

٨- احرصا على تبادل الهدايا فى المناسبات السعيدة والأعياد وليست القيمة فى الثمن.

٩- قل لزوجتك مرة: أنا باحبك (يا تفيدة مثلاً) وقل لها مرة أخرى نفسى أسعدك (يا بهانة - مثلاً) وثالثة نفسى أكرمك (يا لواحظ) وحشتينى جدًا يا. . . . أنا مشتاق إليك. . . أنا معجب بك. . .

وأنت أيتها المرأة قولى لزوجك مثل هذا:

لقد علمنا النبى ﷺ أن الرجل إذا أحب أخاه فليخبره بذلك وليقل له «**إنى أحبك فى الله**» وإنى لأعجب من رجل لا يحب امرأة كيف يعاشرها، وأشد عجبًا من ذلك رجل يحب زوجته ثم لا يخبرها كل يوم بهذا.

١٠- اخل بنفسك وفكر بعمق فى شىء تسعد به زوجتك.

وأنت أيضًا اختلى بنفسك وفكرى بعمق فى شىء تسعدين به زوجك.

إن الفرق بين فكرتك الناتجة من إعمال ذهنك وإجهاد فكرك الفرق بينها وبين فكرة غيرك كالفرق بين ولدك وولد غيرك.

سترتبط بفكرتك وتحبها وأنت كذلك أيتها الزوجة.

١١- أخبرى زوجك أيتها المرأة فور حدوث العادة الشهرية بأى لفظ أو إشارة أو عبارة ولا تنتظرى، حتى إذا قال: هيا، اعتذرت، فإن ذلك يؤذيه إيذاءً شديدًا، وأخبريه فور انتهائها والتطهر منها، فإن ذلك يسره ويرضيه.

١٢- إذا خرجت مع زوجتك ومشيتما فى الطريق فلتكن هى عن يمينك دائمًا وحقيبتها فى يمينها، وفى يسارك ما تحب أن تحمله.

فإذا ركبتما سيارة فاجعلها تركب قبلك وساعدها فى الركوب ثم الحق بها، وإذا نزلتما فانزل قبلها وخذ بيدها عند النزول.

وإذا سرتما بالنهار فقدمها عند العبور أو المرور، وإذا سرت بالليل أو فى الظلام أو فى طريق وعر فتقدمها وكن أمامها وخذ بيدها.

وأشركها فى ما تفعله قل لها: سنعبر الطريق الآن - سنقف هنا قليلاً سنركب السيارة الفلانية - سنركب هذه السيارة القادمة - سننزل المحطة القادمة - سننزل الآن.

١٣- سيدتى: اصنعى لنفسك ملفًا أو عددًا من الملفات أو ركنًا خاصًا فى المكتبة أو درجًا خاصًا وضعى فيه كل معلومة وكل موضوع يعود على بيتك وزوجك وأولادك بالنفع.. فهذه مهمتك الأولى.

أوراق فى تربية الطفل - قصاصات فى معاملة الزوج - كتيب صغير فى كيفية صيانة الأدوات المنزلية وتنظيف السجاد من البقع والملابس من الأوساخ - بعض الأكلات التى تحبين أن تتحفى بها زوجك من أن لآخر - طرق صناعة بعض الحلوى والتورتات - طرق صناعة بعض المربات والمخللات.

١٤- استشيرى خبيرة أو كوافيرة أو من تثقين بمعرفتها فى أنسب طريقة أو بعض الطرق لتصفيف شعرك وأيها أكثر مناسبة لك وأى الدهانات أنفع، وأفضل الكريمات وألوان الأصباغ والمساحيق التى تتناسب مع لون بشرتك وتقاطيع وجهك، فإن الشياطين قد علّموا الناس هذه

الفنون لإيقاظ الفتن وإيقاع الرجال والنساء فى شباك الرذيلة، ونحن نطالبك أن تتعلميها لإسعاد زوجك وإكرام نفسك وإعفاف المجتمع كله.

١٥- اعمل جدولاً للأعمال اليومية.. لا يمر يوم دون عملها.

والأعمال الأسبوعية.. لا يمر أسبوع دون عملها.

والأعمال الشهرية.. لا يمر شهر دون أن تعملها.

والأعمال السنوية.. تعملها كل عام مرة، أو مرتين.

ثم عمل تعمله مرة فى العمر.. إكرامًا لزوجتك واعترافًا لها بالفضل.

وأنت أيتها المرأة.. فكرى بنفس الطريقة واعملى جدولاً لتسعدى نفسك وزوجك وبيتك، فكلما اتفق الجدولان وتطابقا كلما كان أسعد وأمتع وأفضل.

*****

..وفى الختام

أوشكت أن أصمم جدولاً مقترحًا لبعض الأنشطة التى لابد أن يمارسها الزوجان بعد أن يتفقا عليها، ولكنى تركت ذلك لكما، فربما تصلان إلى أفضل مما عندى، وهذا أمر مؤكد، وسأكون شاكرًا وممنونًا إذا تلقيت منكما بعض النماذج والبرامج المقترحة لأنشطة يومية أو أسبوعية أو شهرية أو سنوية، كل على قدر ظروفه وإمكاناته، لعلى أستفيد بذلك أو أفيد بها غيرى **«والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**[1].

*****

(١) البخارى.

الفهـرس

هذ الكتاب

مجموعة مشاعر، سطرها الكاتب تحت عنوان جميل (إبهاج الأزواج) هو خواطر وتجارب مرّت بصاحب الكتاب، ومواقف عايشها.. وفي كل الأحوال فإنه - كما عبَّر عن نفسه - كان محباً، فلله در الرجل، لقد وضع النقاط على الحروف، وهيأ للبيوت أسباب نجاحها وعوامل سعادتها، وأثار في نفس الأزواج والزوجات حمية الخير وسباق الرشاد.

يلحظ المؤلف قصة الهبوط الخلقي، وكيف تصارعت حلقاته بفعل المتربصين بالفضيلة، ثم يشرح هذه القصة، ويرصد جوانب الخلل ومواطن الجهل، وأخيراً ينطلق إلى ساحة الماضى العفيف، حيث الحياء، والكرم، والعلم، والأدب، والمتعة الطيبة.. والإدارة بالحب، وبقوة الشخصية وعلو الهمة .. فالإسلام لا يعرف قهراً ولا جبراً، وليس الكبير من ولِدَ أولاً، ولكنه من يحتمل ما لا يحتمله الآخرون.

إن العلاقة بين الرجل وامرأته ليست علاقة بين رئيس ومرءوس أو ند وند، إنما هى شراكة قامت على كلمات الله، والخيرية فيما بينهما من حب ومودة وسكن ولطف، وإن تخلل ذلك صرامة وانضباط، فلكل وقته، وخير الأزواج من عرف زمانه فاستقامت طريقته.

فى هذا الكتاب قطوف دانية وثمار ورياحين، وفيه همم
وعزائم أهل الفضل، وعواطف ومسالك أرباب
القلوب الشفيقة وأصحاب الدموع

الناشر

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

٢ ش منشا محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس ت: ٣٩٠١٩١٤ - ٠٣/٣٩٠٧٩٩٨